الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة بوزريعة- الجزائر-2-
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قســـم التـــاريخ

ملخـــــــــص

مذكرة ماجستير في التاريخ الأوروبي

الوسيـــــط

تطـــور الملكيـــة الفرنسيـــة في عهـــد فيليـــب أغسطس

PHILIPPE AUGUSTE

(1180 م - 1223 م)

من إعداد الطالب:
هشماوي محمد الحبيب.

الأستاذ المشرف :
أ.د. بوكنة عبد العزيز

لجنة المناقشة

ا.د.رشيد تومي: رئيسا

اد. لطيفة بن عميرة : عضوا

اد.عبد العزيز بوكنه : مشرفا ومقررا

السنة الجامعية : 2014/2013

مقدمة

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

مقدمـــة

تكشف قراءة تاريخ فرنسا عن وجود حلقات مترابطة في تكوين الدولة الفرنسية، أو السيادة الفرنسية على كامل الرقعة الجغرافية المتعارف عليها حاليا، حيث كانت السلطة موزعة بين مجموعة من الإقطاعيين، والاقطاع féodalisme نظام اقتصادي واجتماعي، وسياسي، كان سائدا في أوروبا الغربية في الفترة الممتدة بين نهاية القرن الخامس الميلادي و أواخر الخامس عشر.

وظلت الوحدة السياسية، والترابية لفرنسا، منقوصة نظرا لعدم قدرة أي من الأسر الحاكمة في المجال الجغرافي من التفرد بالحكم، وفرض سلطتها على القوى المشكلة للمنظومة الإقطاعية، وظل الحال ما يقارب القرنين إلى أن استطاع ملك من ملوك آل كابي Les Capétiens إن يأخذ على عاتقه مهمة بناء وحدة فرنسا السياسية والجغرافية.

مع نهاية القرن الثاني عشر، وبداية القرن الثالث عشر الميلادي بدأ الملك "فيليب اوغسطس" Philippe auguste في مد سيادته على الأقاليم خارج أراضي الحوزة الملكيـــــــــــــة Le Domaine royale بمنطقة "إيل دي فرانـــــــس" Ile de Franceوهي مهمة ليست بالهينة، واجهتها معارضة الطبقة الإقطاعية.

والإشكال المركزي في المذكرة يكون بالصيغة التالية: كيف استطاع أن يفرض سلطته على النظام الإقطاعي، ويكيّف القانون الإقطاعي **Le Droit Féodale** لبسط سلطانه على الأقاليم المستقلة، الرافضة لسيادته الفعلية؟

وكيف أمكنه الانتصار على ممالك، و إمبراطوريات ذات قوة عسكرية، ومالية، لم تكن في حيازته؟

وسيكون مجال بحثي الجـــانب السيـــاسي والعسكري لمملكـــــــــــــــة فرنســــــــــــــــــا متمثلا في شخص الملك فيليـــــــــب أغسطس، وسيرته، وكيف استطاع أن يساهم في وضع اللبنات الأولى لدولة فرنسا.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ورغم أن الموضوع كان محل دراسة، وكتب لمؤرخين فرنسيين، إنجليز و أمريكان إلا أن المؤرخ العربي لم يدرس هذه الشخصية السياسية التاريخية، في الوقت الذي كتب الأوروبيين في تاريخنا وبحثوا فيه، في شتى الحقب والعصور، وقدّموا لنا تراثا ثريا، إلا أن المؤرخ العربي لم يكلّف نفسه مشقة البحث في هذه الشخصية.

و لعل غياب دراسات تاريخية حول هذه الشخصية باللغة العربية من الدوافع التي حفزتني على المضي في المشروع رغم العراقيل العديدة، حيث حاولت قدر المستطاع أن أبحث في الموضوع، واعتمدت على بعض المؤلفات التاريخية التي كتبها أساتذة عرب حول التاريخ الأوروبي الوسيط بصفة عامة، و إن كانت هذه البحوث لم تشر إلى شخصية الملك "فيليب أغسطس" إلا لماما.

و اعتمدت على بعض ما جاء في هذه المراجع من اقتباسات من كتب الحوليات التي أرَّخت لسيرة الملك الفرنسي، من الفرنسيين والإنجليز.

وقد كان القصد من البحث أن يكون في التاريخ السياسي لمملكة فرنسا من خلال شخصية، وسيرة فيليب أغسطس.

2- خطة الموضوع:

لقد قسمت بحثي إلى مقدّمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.

الفصل الأول تحت عنوان: الملك فيليب أغسطس و سياسته الداخلية، مقسما إياه إلى : - البلاط الملكي و تنظيمه ، - الإدارة الملكية و المحلية، - الميزانية و موارد الدولة و تسييرها، - مجالس المدن و الإمتيازات الملكية، - الحوزة الملكية و صراع الملك مع الإقطاعيين داخلها و خارجها، - الملك فيليب أغسطس و رعيته، - تطور الحرف و التبادلات التجارية.

أما الفصل الثاني فكان موضوعه حول حروب الملك "فيليب أغسطس" : فقسمته إلى : - جيوش" فيليب أغسطس" تنظيمها و تحصين القلاع.، - حروب وغزوات الملك فيليب اغسطس، - معركة بوفين/ Bouvines ، - مشاركة الملك

"فيليب اغسطس" في الحملة الصليبية الثالثة [1191/1189 م]، – علاقة الملك "فيليب أغسطس" بالنورمان في صقلية ، – الملك فيليب أغسطس ودوره في محاربة الهرطقة الألبيجنسية (جنوب فرنسا).

أما الفصل الثالث فكان حول: الملك فيليب أغسطس و الكنيسة الرومانية و قسمته إلى : – الملك فيليب أغسطس و الباباوات ،– الملك فيليب أغسطس و الكنيسة الفرنسية ، – فيليب أغسطس و التنظيمات اللإكليركية ،– التربية والتعليم ،– الطابع الديني للجامعة، – مسار تطور جامعة باريس .

و في الأخير خاتمة لبحثي تناولت فيها ما استنتجته من هذه الدراسة كما ذيلتها بمجموعة من الملاحق التي رأيتها تخدم الموضوع من فهارس و أعلام و من المصادر و المراجع التي اعتمدت عليها في الموضوع.

3–عرض لأهم الموارد البيبليوغرافيا المعتمدة:

كان اعتمادي بالأخص على عدد من المؤرخين الفرنسيين الذين تخصصوا في تاريخ الملك فيليب أغسطس و كذلك من غيرهم ثم الكتب الخاصة بالتاريخ السياسي و العسكري حول المنظومة الإقطاعية بفرنسا بالأخص و كذلك المؤسسة الكنسية، كذلك تلك المتعلقة بالملكية و تاريخها.

أما عيب هذا البحث هو قلة المراجع العربية لعدم تعرضها للموضوع بالخصوص و احتوائها معلومات حول التاريخ الأوروبي الغربي الوسيط أو الفرنسي بصفة عامة، و الاستثناء يكون الحروب الصليبية والتي وجدت حولها كثير من الكتابات .

4– المنهج المعتمد:

إعتمدت على المنهج الإستنتاجي من خلال مقارنة المعلومات و وضعها تحت التفحيص بعدما قمت بقراءات متعددة لفهم هذه الكتب وأصحابها، ولجأت إلى البحث على أبسط التفاصيل حول هؤلاء المؤرخين المعاصرين لهذه الحقبة أو من العصر

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الحديث ممن يختصون في تاريخ الوسيط في الأوروبي، و حاولت تعليل أرائ

و ما وصلت إليه من استنتاجات بفقرات مقتبسة لتثمين ذلك، إلا أنه لا يفوتني الإشارة إلى التكرار الموجود في كامل ما وجدته وما قرأته حول الموضوع مع اختلافات بسيطة. كما حاولت ذكر أراء بعض المؤرخين الإنجليز لعلي أجد بعض ما يدفع بالموضوع إلى نوع من المقارنة بين الاختلافات خاصة و أن كلا الفريقين كان يدافع عن قوميته و يحاول التحيز لها، و بالتالي أوجب على اليقظة و عدم تقبل ما أقرأه بل تمحيصه.

5- صعوبات البحث:

كان لقلة المصادر والاعتماد على المراجع تأثير في عملي وأحيانا أثر على عزيمتي وكاد أن يدفعني إلى ترك الموضوع و تغييره. كما أن صعوبة و عدم الإلمام باللغة الفرنسية القديمة أجبرني على التخلي عن الاعتماد على النصوص الأدبية من ذات الحقبة والتي حو حقيقة شاهد على أحداثها، إلا أنه أضحى لي وعي بأن ذلك سيأخذ مني وقت طويل لإنجاز مذكرتي .

الفصل الأول

الملك فيليب أغسطس و سياسته الداخلية

الفصـــل الأول

الملك فيليب أغسطس و سياسته الداخلية.

- البلاط الملكي و تنظيـــــــــــــــمه .
- الإدارة الملكيـــــــــــــــة و المحليـــــــــــة.
- الميـــــــــزانية و موارد الدولة و تسييرها.
- مجالس المدن و الإمتيازات الملكية.
- الحـــــــــوزة الملكـــــــــــية و صراع الملك مع الإقطاعيين داخلها و خارجها.
- الملك فيليب أغسطس و رعيته.
- تطور الحرف و التبادلات التجارية.

الداخلية

مدخل:

لمدة تقارب مائة سنة طغى الصراع القائم بين أسرة "آل كابي Les Capetiens" مع جيرانها من" آل بلنتجينى Les *Plantagenêts* "على مجرى الأحداث في الغرب الأوروبي. ليخرج ملوك فرنسا في الأخير منتصرين خاصة بعد معركة بوفين Bouvines[1]،التي تعد منعرجا تاريخيا حاسما للملكة الفرنسية، التي كانت حدودها السياسية الفعلية لا تتعدّى أحد الأقاليم الانجليزية اتساعا.

كانت مساحة الحوزة الملكية، عند بداية حكم الملك "فيليب أغسطس" في 1180 م، حوالي 300 كيلومتر بين مدينتي" أميان Amiens"و" بورج Bourges" طولا، متكونة من ممتلكات تمتد من الشمال إلى الجنوب ، ولا يتعدى جزءها الأكثر عرضا بين مدن بورج و "سواسون Soissons" المائة و خمسين كيلومتر، ليضيق إلى شمال مدينة بورج إلى أقل من عشرين كيلومتر[2] .

و في مقابل هذه الممتلكات المحدودة، كانت أقاليم واسعة و معادية لسلطة "آل كابي" مستقلة ؛و هم على التوالي "آل بلنتجينيPlantagenets " من جهة الغرب أين يمتلكون

---

[1] تمثل هده معركة أوج الصراع العسكرى بين مملكة فرنسا، ومملكة انجلترا وقعت يوم 27 جويلية1214 جنوب شرق مدينة ليل Lille بشمال فرنسا انتصر فيها ملك فرنسا ضد التحالف المعقود ضدها، كانت بداية علو وهيمنة الملكية الفرنسية على الإقطاع.

[2] Fiori Jean, Philippe Auguste, la naissance de l'Etat monarchique, Ed Tallandier, paris, 2002 pp:109-110.

الداخلية

أقاليم خمس مرات أكبر من تلك التابعة لملوك فرنسا، و في الشمال" كونتيات فلندرة comté de Flandre "و المسيطرون على مقاطعة "فرمندوة، Vermandois" أخير من الشـــرق و الجنوب آل "بلوة–شمبانيا. La Maison de Blois –champagne" لتزداد مساحة مملكة فرنسا بعد 1223م و كان "للملك فيليب أغسطس "أثر في توسيع ممتلكات الدولة الفرنسية ،بحصوله على الأقاليم التالية: فرمنـــدراة، ومدن : "بلوة Blois"، "أميان Amiens" و أجوازهما، و أخيرا مقاطعة "الأرتواة Artois"

إضافة إلى كونتينات "كلرمون Clermont و "بومون Beaumont "جنوبا، كما ألحق إقليم "البيري Berry " الأدنى بالتاج الفرنسي، و تم القضاء نهائيا على الخطر الذي كان يمثله كونتات "فلندرةLa Flandre". و تدمير طموحات آل "بلنتجيني" التوسعية في فرنسا بعد 1214م و حملة الأمير لويس الإنجليزية في ماي1216م، مما زاد في مساحة التاج الفرنسي غربا[1]. نورموندية Normandie، "الماين maine " ألانجو Anjou"، "تورين Torraine"، و" سانت–أنج Saintonge" كما سمحت فتنة "الألبجيين Albigeois" للملكية الفرنسية أن ترسل حملة عسكرية على إقليم "اللنقدوك Languedoc"الجنوبية بقيادة الأمير" لويس الثامن "، وبمباركة البابوية.

[1] Ibid.pp:110,11,112.

الداخلية

مهّد الملك" فيليب أغسطس" لبناء دولة فرنسا ، وأعطى مكانة أساسية في تاريخ فرنسا لدور الملكية كنظام للحكم، مستلهما فلسفة الحكم من التقاليد والأعراف الإفرنجية Les Lois Salique و ما وجده في نورماندية من تشريعات الأنجلو-ساكسون.

و يعتبر عصر فيليب أغسطس، بداية تفوق الملكية على حساب الإمارات المستقلة، و يرى عدد من المؤرخين[1] في هذا الانتقال انتصار التوجه المدني و بداية السير البطيء نحو حضـــارة المدن و أفــول عصر الإقطاع في أوروبا ، و تثبيتا للثقافة القانونية في الحياة العامة، و بالتالي إستعمال و شيوع الكتابة و ممتهنيها في خدمة الكنيسة،و الملكية، كما سنتعرض في الباب الأخير إلى ترسيخ المؤسسة الجامعية الباريسية في عهدالملك" فيليب أغسطس" و أهم مكوناتها و نبذة من الأحداث التي جرت في عصره.

رغم أن ملك فرنسا" فيليب أغسطس"لم يكن يمتلك موارد مالية كبيرة مقارنة بما عند كبار الإقطاعيين، و محدودية مجال سلطته الفعلية ،إلاّ أنه يمتلك سلطة روحية بحكم ما ورثه عن أجداده، ذلك ما منحه تفوقا أمام باقـــــــــي الإقطاعيـــــــين خاصـــــــة المناهضين لسلطتـــــه، و كذلك استنجاد الملك" هنري الثانى Henri Plantagenets" بملك فرنسا لحل نزاعاته مع بارونات مملكته. لقد كانت السلطة الملكية حتى

[1] CONTAMINE Philippe, L'économie médiévale, édit P.U.F Paris,1993, p 10.

الداخلية

نهاية القرن 16م بفرنسا– أساسها سلطة روحية منحتها له إمتيازات ،نذكر منها: امتلاك قنينة الزيت المقدس والتي استودعت في كاتدرائية مدينة "ريمسReims" تحت وصاية كبير الأساقفة هنالك. و كان التقليد المتوارث؛ أن يدهن ملوك سلالة "آل كابيLes Capétiens"ولى العهد من أبنائهم بهذه الزيت قبل توليه ولاية العهد[1]

البلاط الملكي و تنظيمه:

لقد أعطى الملك "فيليب أغسطس" لسلالة "آل كابي" أدوات ثلاث، كانت تنقصها لتوطيـــــد حكمها داخل و خارج الحوزة الملكية؛ و بالتالي جعل من قوة ملكه مرادف لوحدة فرنسا، وهي طاعة الموظفين لملكهم، والأموال اللازمة لتسيير شؤون الدولة، و جيشا محترفا، وأكثر تنظيما من السابق، حيث كان تشكيل الجيش تفرضه حالة الحرب فقط، ولا يملك استقرارا تنظيميا، ينتهي بانتهائها، ومع الملك فيليب أغسطس اخذ الجيش شكله النظامي.

إن الجهاز الأساسي في حكومتـــــــــــه كان البـــــلاط و تنظيمـــــــــاته ،المتكـــــون مـــــــن النبـــــــــــلاء و الأساقفة ، أي كبار رجال المملكة ،و إن ظلت هذه المؤسسة بطبعها إرثا ممن سبقه من أسلفه، و كان لها دور متعدد انطلاقا من

[1] PERNOUND Regine, Lumière du Moyen -Age , p 77-80.

الداخلية

كونها : مجمع ديني، محكمة، مجلس حرب، هيئة انتخابية، إدارية و سياسية؛في اجتماع دائم، أين ما وجد الملك دون تحديد زمان ،هو مجلس استشاري يطلب منه الملك تزكية و مباركة القرارات المختلفة التى يقررها، دون أن تفرض هذه الأخيرة إرادتها على الملك ،والملاحظ أن استدعاؤها لاجتماع خلال حكم الملك" فيليب أغسطس"كان نادرا؛ حيث أن المؤسسة الملكية لم تعد تحتاج من الأساقفة و الكونتات ذلك الدعم المعنوي والأدبي لتبرير قراراتها و سياستها.

من الإجراءات التي عمد إليها الملك " فيليب أغسطس"؛ زيادة عدد الأعضاء الدائمين من البارونات المساندين له ،إلى هذا المجلس، كدليل على تزايد السلطة الملكية و تراجع فريق من المؤسسة الإقطاعية المنحاز إلى الكنيسة يضّاف إلى ذلك الحضور المتميز لممثلي المدن (البرجوازيةLes bourgeois). ويجب التأكيد على أنه ليس من صلاحيات هذه المجالس،الفصل في القضايا و النزاعات القضائية إلا نادرا . أما موظفي البلاط فقد تحولوا إلى فئة من المستشارين المقربين و الحافظين لإسرار الملك والدولة[1].

[1]LOT Ferdinand, La France, des origines à la guerre de cent ans, p 188.

الداخلية

أوكلت لهذه الهيئة مهمّة إعداد جدول أعمال مجلس البلاط و تسيير الشؤون، و القضايا اليومية وإصدار الأحكام القضائية في المحاكمات العادية، و اتخاذ التدابير الإدارية اليومية. فمنذ عهد الملك" لويس السابع" أصبح اختيار هذه الفئة من الإداريين يتم من أوساط اجتماعية متواضعة؛ مع ذلك كانت تسند إليهم المهمات الصعبة و الحساسة . بحكم رضوخهم لسلطة الملك المتنامية والمهيمنة تدريجيا على دواليب السلطة، ليؤسس الملك "فيليب أغسطس" مع مرور الوقت بذلك، لنظام له قواعده و تحكمه تقاليد[1].

كما أصبح الحضور المتزايد لطبقة رجال القانون داخل البلاط و إدارته ؛ بعد ما كان حضورهم في عهد سلفه ظرفي و ليس دائما.

كان الملك "فيليب أغسطس" حاسما ضد تدخُّل كبار البارونات و كبار الموظفين في البلاط لتحديد صلاحيات كل فئة و توطيد سلطة الدولة الفعلية بعكس سلفه الذين دخلوا في صراع مع موظفي البلاط من الوكلاء الملكيين، المستشارين و حتى الفراشين و السّقاة المقربين من الملوك، إلا أن الملك "فيليب أغسطس" ألغى اثنين من طبقات الموظفين و هما الوكلاء و

[1]CORVISIER André (dir), Histoire militaire de France ,(Tome 3), des origines à 1715, p 89.

الداخلية

المستشارين لخطورة المواقع التي كانوا يحتكرونها و ما تعطيه لهم من امتيازات معنوية و مادية ، مما سيؤثر على القرار السياسي و استقلالية الملك، حدث ذلك بين سنة 1185م بالنسبة للوكلاء و سنة 1191م بالنسبة للمستشـــارين، واستعان في حروبه و مفاوضاته بألمعـــــــــهم و نذكـــــــــــر منـــــــــــهم الفـــــــــــرّاش "برتيلمـــــــــــــــى دي روي" Barthelemy de Roy و الحاجب "غوتيي دي نمور Gauthier de Nemours و قـــــــــــــادة الجيـــــــــــوش "روول دي كلرمـــــــــــــــــون" Raoul de Clermont، " و "مـــــــــــاتيـــــــــــــــــــاس دي مومرونسي" Mathias de Montmorency و الماريشالات "روبار Robert و هنري Henri، و كليمانت "clément و لكون هؤلاء من عامة الشعب أو من طبقة النبلاء الوسطى و ليس لهم سطوة؛ و بتالي أداة طائعة في يد الملك فيليب[1].

لم يتوان المؤرخ الأمريكي "ج. و.بلدوين" عن القول بأن الملك" فيليب أغسطس" أحدث " ثورة في نمط الحكم" أوجب التنويه بيه ؛ من خلال ما استحدثه من أساليب لم تعرف عند سلفه في تسيير الشأن العام[2].

---

[1] Halphen Louis ,La place de la royauté dans le système féodal, A travers l'histoire du Moyen-âge, p 108.
[2] J. Baldwin, PHILIPPE-Auguste et son gouvernement, p 70.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الداخلية

و فيما يخص التاريخ الحقيقي و المضبوط لبداية العمل بهذه الاصلاحات؛ هل كان ذلك مع بداية القرن 13م أي 1200 م أو قبلها بعشر سنوات؟ . يذهب المؤرخ "جون–روبرت ستراير" إلى القول: <<إن رجال البلاط استلهموا من النظام السائد في نورمونديا، لإعطاء مقاربة جديدة لما ستكــون عليه هياكــل المملكة الفرنسية، أخذين في الحسبان خصوصيات كل إقليم وتقاليده حتى يسهل تطبيق هذه الاصلاحات.>> [1].

و من التقاليد التي كانت متابعة في تسيير شؤون البلاط منذ قيام مملكة آل" كابى Capetiens Les "،وجود رئيس لموظفي البلاط، هذه الشخصية كان لها حظوة عنــــــــــد الملك و منها يستمدُّ نفوذه و سطوته ،خاصية هذه الوظيفة جعلت توكيلها إلى أساقفة أو رهبـــــــــــان، و لكون أعضاء المؤسسة الكهنوتية؛ هم لوحدهم قادرون على إمداد المملكة برجال توكل إليهم وظائف إدارية و دبلـــــــــوماسية، ذوي تكـــــــوين و معـــــارف متعـــــــــددة فـــــــي ذلك العصـــــــــر، و يمكن استشارتهم عند الضرورة و لائتمان على أسرار الدولة عندهم ، و كل ما يتعلق بمصلحة المملكة و سياستها، إلا أن الخاصية التي تفرد الملك" فيليب أغسطس" بها، عن غيره من ملوك "آل كابى" ؛هو عدم تخليه عن صلاحيته

[1] CONTAMINE Philippe., Moyen-âge le roi, l'église, les grands, le peuple),.p 230.

الداخلية

أمام هذه النخبة من المستشـــــــــــــارين و الموظفين على خلاف كل من استعمالهم من السابقيين من ملوك أسراته.

إن استعمال الملك" فيليب أغسطس" لهذه الطبقة ،يتأكد عند تواجده في المشرق ،أثناء الحملة الصليبية الثالثة، فمن 1184 م إلى غاية 1202 م ،كان يترأس المجلس الملكي كبير أساقفة "ريمس" غيوم دي شمبانياGuillaume de Champagne" و هو خـــــال المـــــــــــــلك فيليب و أعلى شخصية دينية في المملكة و القاصد الرسولي للبابوية، عرف عنه قدراته و مهاراته الإدارية إضافة إلى ما كان يتمتع به من مواهب علمية و أدبية فهـــو بحـــــــــــــق "عيـــــــــــن المـــــــــــلك و يديه" كما جاء في نصوص من ذات الفترة فخلال الحملة الصليبية تسند إليه مهمة وصي بمعية أخته[1]. والدة فيليب "الملكة أديل" إلا أن الملك فيليب إحتاطّ بتحديد صلاحية كـــــــــــــــل مـــــــــــن خاله و أمه بإسناد رقابة لجمح مستشاريه المقربين ضامنا ولائهم من كونهم ينحدرون من طبقة النبلاء المتوسطة إضافة إلى كليربوس و البرجوازية.

و خلال الحقبة المتأخرة من حكمه كان رجل ثقته من طبقة الإسبرتية، "الأخ قيران" ذو المواهب المعترف بها في تسيير شؤون البلاط و ما تعلق بمؤسسة الإكليربوس،

[1]CONTAMINE Philippe., L'économie médiévale, p 42

الداخلية

الديـــوان و الجيوش في نفـــــــــــــــــــــــــس الـــــــــــــــــــــــــوقت. و بذلك تسنى لفيليب صديق وفي و مساعد لا مثيـــــــــــــــــــل له و رغم كل ذلك لم يغدق عليه بلقب المستشار مع أنه كان يقوم بهذه الوظيفة. و هكذا يبقى رجال الكنيسة و الإيكيربوس بالنسبة لفيليب مساعدين لا أكثر.

الإدارة الملكية والمحلية:

وفيما يخص إدارة الأحواز الملكية و سائر المناطق و الأقاليم لفم يقم فيليب فقط بتطوير و تعديل الهياكل الإدارية الموروثة عن سلفه بل استحدث جهازا إداريا سيكون له دور إيجابي و فعال في توطيد الملكية و الدولة الفرنسية ألا و هو تنظيم القضاة الملكيون الذين كانت لهم بتـــــــــــــــــوازي: سلطـــــــات البـــــــــــــــث القضـــــــــــــــــائي و التسيير الإداري. لقد استنبط الملك فيليب من تجارب سابقيه في تعاملهم مع الموظفين الذين ينوبون عنهم في الأقاليم و حتى يجنب العامة ما كان يصدر من الحكام في الأقاليم من أحكام تعسفية بعيدا عن رقابة القضاء الملكي البعيد عن المقاطعات.

و مع توسع الأقاليم و التـــوابع الملكيـــة و تعقـــد تسييرها و بإلغـــــــاء منظـــــــومة الوكـــــلاء "السينشالات Les Sénéchaux "، و الذي كانت لهم مهمة مراقبة حكام الأقاليم، مما أوجب إحداث إصلاح إداري يواكب توســـــــــــــــــــــع

الداخلية

المملكـــــــــــة و يزيد من توطيد السلطة الملكية الفعلية كل جهاز القضاة الملكيون مؤسسة قائمة بذاتها لها حقـــــــــــــــــــوق و واجبات كما تثبت ذلك وثائق من ذات الفترة و تدفع لهم أجـــور قارة و يتم تعينهم بصفة رسمية من طرف الملك[1].

كما أن المجال الجغرافي لسلطة الوكلاء كان أكثر اتساعا منه عند حكام الأقاليم، فهم أعوان الملك ينتدبون من طرف البلاط الملكي لإدارة الأقاليم، و هـــم كذلك قضـــاة يصـــدرون الأحكـــام القضائية، و كذلك ضمان ديمومة المداخيل المالية من هذه الأقاليم. بإضافة إلى ذلك،هم أعوان الإدارة المركزية و قضاة متنقلون.

يبقى تاريخ استحداث هذه الهيئة غير ثابت و دقيق، إلا أن صدور مرسوم ميلادها سبق رحيل الملك" فيليب أغسطس" إلى الشرق، للمشاركة في الحملة الصليبية الثالثة، و مع ذلك يذهب عدد من المؤرخين إلى اعتبار مرسوم 1190م الإطار المكتوب و الرسمي الذي حدّدت فيه مهامها و علاقتها بالسلطة المركزية، كما يؤكد ذات المرسوم على علو هيئة الوكلاء في التسلسل الهرمي أمام حكام الأقاليم، كما كان على الوكلاء القيام بتقديم تقرير إلى الإدارة المركزية بالبلاط، ثلاث مرات في السنة، و السهر على انعقاد المجالس القضائية في المدن التابعة لسلطتهم بانتظام.

[1]FOURQUIN Guy, Histoire économique de l'occident Médiéval, dans (Histoire médiévale, série dirigé par Georges DUBY).pp 135-211.

الداخلية

كما يجب هنا التذكير بما ورد في المراسيم الملكية لسنتي 1190م و 1204 من جديد، حيث حدد صلاحيات الديوان الملكي و بالأخص و الأهـــــــــــــــــــــم من ذلك يؤكد بداية هيمنة القـــانون المـــــــــــــــــــــدني علـــــــــــــــى الحياة العامة. و الغاية من وراء ذلك :"هي خضوع الجميع لمبدأ علو المصلحة العامة أمام الأفراد"[1].

و لعله أهم حدث قانوني، يعتبره كثيرا من المؤرخين حدثامؤسسا لمملكة و دولة فرنسا كما نعرفها اليوم جغرافيا بالتقريب، جاء في ذات المرسوم كإعلان لميلاد هذه الدولة[2].

الميزانية و موارد الدولة و تسييرها:

إن مهام الوكلاء الملكيين جعلت المؤرخ "فيورى Fiori" يقوم بقاربةبيـــن هذه الهيئة من ناحيـــة و هيئة(المراقبين – الملكيين) في عهدالامبرطور" شارلمان" المكلف بتسيير الإدارة و كذلك بتنفيذ الأوامر الامبراطورية؛ هذه الفئة كانت تستمد سلطتها من الامبرطور، مما جعل الجميع يرضخ لها. و يذهب نفس المـــــــــــــــــــؤرخ إلى

---

[1]DOMINIQUE BARTHELMY, Nouvelle histoire de la France médiévale ,Tp, p 250.

[2] Op . cit., p 250

الداخلية

تشبيههم بتنظيم "الشريف" في انجلترا، أو الوكلاء في فلندرة..... مما زاد من سلطة الملك في الأقاليم وساهم فى إحلال العدالة الملكية فيها [1].

من أهم خصائص حكم الملك" فيليب أغسطس" هو اعتماد التدوين الادارى و هياكله في البلاط الملكي وبالأقاليم. وتخصصه بحسب مهمة كل منها ، حيث أن موثقي الملك يدونون في سجلات خاصة تعطي لها عناية من حيث الشكل و المضمون* و تظهر في- هذه الكتابات- العلاقات القائمة بين المدن و المصالح الإدارية التابعة لحكام المناطق، و كذلك مع الإدارة المركزية بالبلاط، رغم أن نظم الجباية و الموازنة لم يكن معقدا و متطور كما هو الشأن بالنسبة لإدارة البابوية في روما أو حتى و فيما يخص النظام في دولة آل" بلنتجيني "أيام حكم الملك "حنا عديم الأرض" مثلا؛ مع بساطة الجباية الفرنسية إلا الملك فيليب و الجهاز بضبطها و جمعها كان حريصا على تحصيلها في أوقاتها و تدقيق حساباتها في آجالها خاصة مع تزايد المداخيل المالية ،الذي كان سببا في المراجعة الدورية لها كما تشير مصادرمن ذات الحقبة ؛أنه عند وفاة الملك "فيليب أغسطس" بشهادة وجيه من وجهاء مدينة "لوزان Lausanne" السويسرية مقارنا بين

---

[1] JEAN FIORI, Philippe- Auguste, p 118-119 .

* الاهتمام بعملية التوثيق و الحرص على العقود التي تصدرها الدولة و على رأسها الملك أضحى تقليدا له قواعده في القرن 14م على أيام الملك فيليب الرابع الوسيط.

الداخلية

تركة كل من "لويس السابع LOUIS VIII عند وفاته و المقدرة عائدته ب:1200 ليرة سنويا ، و ما تركه فليب أغسطس و المقدر ريعه بـ 19000 ليرة شهريا.

لقد تعددت أنواع الضرائب في عصر الملك" فيليب أغسطس" فلم تعد تقتصر على الضرائب العادية منها و المتمثلة في ما يدفعه المستغلون لأراضى داخل إقطاعية للمقتطع، أو ما يجبى من ضريبة يدفعها العوام لموظفي الملك في مختلف المناطق، و أخيرا ما كان يجبى من الأملاك و الضياع التابعة للملك و الداخلة ضمن أملاك الدولة و خاصة الغرامات المختلفة التي كانت تفرض على مستخلص الغابات الخ..... من الضرائب المختلفة ،كما يجب الإشارة إلى ما كان يجبى كحق عام على كل إرث كتركة تورث، و خاصة ما كان يدفع من طرف الكنائس عند حيازتها لقطعة أرض جديدة ؛كضريبة استغلال [1].

و مما ابتدعه الملك "فيليب أغسطس" هو تحويل ما كان يفرض على بعض المدن من ضرائب نقدية إلى أخرى عينية . مثل براميل الخمور التى كان يأخذها الساقي الملكي من عند تجار و صناع كل من مدن "باريسParis"، "أورليان Orléans " ، و" بورج Bourges"، ومن ما جاء في مرسوم ملكي "بأن أشغال السُخرة التي يجب على

[1] المصدر السابق، ص 143.

الداخلية

رجال منطقتي " الفالو Le Valois " و "الفرتي–ميلون La *Ferte-Milon* "سيتم تعويضها بإتاوات نقدية أو عينية".

يجب ذكر الحدث هو إعطاء الاختيار للبرجـــــــــــــــــــوازية؛ بين أداء الخدمة العسكرية الإجبارية أو دفع ضريبـــــــــــــــــــــــة سنوية للخزينة الملكية . فبوثيقة تعود إلى سنة 1194م ثبت بأنه مع نهاية القرن 12م كان عدد كبير من المدن و بالأخص تلك التي ليس لها مجالس بلدية، اعتادت على شراء حق الإعفاء من كامل الواجبات العسكرية المعروفة في تلك الفترة مقابل إتاوة معينة ،يبدو أن هذا لإجراء الجديد أستحدثه الملك" فيليب أغسطس"، و لم يقم خلفه خلال القرن 13م إلا بتطويره .

لم يكن بمقدور كل الملوك من سلالة آل كابي اقتطاع ضريبة الإغاثة بموجب ما يعطيه لهم هذا العرف (ما يقتطعه مولى الأخاذة من كل الأراضي المقتطعة و التي تعير صاحبها) في حدود الميزانية الملكية، لم يقّدر كل من الملوك" فيليب الأول"، "لويس السادس"، و كذلك" لويس السابع" على إخضاع كبار الإقطاعيين.

و لأول مرة في تاريخ فرنسا الوسيط ؛بالضبط في عام 1195 م، تتنازل كونتيات فلندرا على قلاع مدينة" دوّي Douai" للملك "فيليب أغسطس" كدليل على رضوخها ، و في 1199م يتنازل كونت "نوفير Nevers" للملك على مدينة "جيان Gien ". بعد ذلك كونت مدينة "بلوّا Blois" و" شارتر Chartres" فى عام1212م؛ دفع 5000 ليرة باريسية للملك

الداخلية

فيليب بكونه مولى الأخاذة الأسمى و صاحب الإقطاع (Le suzerain Suprême)، و كذلك فعلت " مارجريت **Marguerite de Blois** " في 1219 م بتخليها عن قصر" نوجان NOGENT" و لواحقه من ضياع و أملاك. و بذلك يكون الملك " فيليب أغسطس" أول من بدأ ت معه سيادة ملوك فرنسا المالية على أ كبر الإقطاعيات بفرنسا .

إن من الدلائل القاطعة على اعتماد فيليب لنهج ثابت في عملية توطيد هياكل الدولة و إرساء هيبتها، تنظيمه لعملية تقديم وجود نظامي لحسابات المملكة بباريس ثلاث مرات في السنة، و مما زاد من حرص الملك" فيليب أغسطس" على ديمومة هذا التقليد ،ما أنجر عن هزيمة" فريتفال*Bataille de Fréteval* La "سنة 1194م، أين فقدت الدفاتر و السجلات الملكية، بعد تخلي المقربين منه على جزء من الوثائق الملكية التي كانت مع تتنقل مع الموكب الملكي أين ما حل ،ليس لها مكان ثابت تحفظ فيه، ، مما استوجب إحداث هيئة قارة فى العاصمة باريس؛ للمحافظة على المواثيــق و السجلات الملكية و كذلك الأختام و امتدادا لذلك خزينة الدولة المالية، و وكلف بهذه المهمة فرسان الهيكل (الداويين Les Templiers-) لدرايتهم العالية بالتسيير المالي. بمطلع سنة 1202 تظهر أول الحسابات الخاصة و الصادرة عن لمجالس المدن و مختلف التجمعات الحرفية. و تم السير بعد ذلك

الداخلية

نجو تجميع الحسابات الفردية إلى جماعية و تصنيفها بحسب كل اختصـــــــــــــــاص . و ذلك من أجل الوصول إلى غاية الرقابة على المصاريف و العائدات المالية[1].

رغم كل هذه الإجراءات نحو ضبط و تدقيق حسابات الدولة إلا أنه من السابق لأوانه الحديث عن وجود مفهوم ميزانية و تقديرها بحيث أن هذه الحسابات لا تخص سوى المداخيل العادية ،خاصة في الفترة التي سبقت الغزوات الكبرى، و التي رسمت الحدود الجغرافية للمملكة و لفرنسا كدولة ،إلا أنها دليل على قوة الهياكل التي بنيت عليها هذه الإصلاحات و الروح التجديدية للملك" فيليب أغسطس" و الحاشية التي كانت تآزره في سائر أعماله.

أما في ما يخص السياسة النقدية – و التي تعتبر قديما و حديثا من معالم السيادة لأي دولة من الدول فقد مهد مشرعو الملك "فيليب أغسطس" من مدارس كل من "أورليانOrleans" و بعدهم جمع من فقهاءالقانون من جامعة" بولونيا BOLOGNA" (إيطاليا) سعوا ، إلى إيجاد الحجج القانونية لإثبات؛ أنه من الصلاحـــيات الملكيـــــــــــــــــة ضـــــــــــــــرب و صـــــــــك العملـــــــــــــــة و النقود[2].

[1] BARTHLEMY Dominique, Nouvelle histoire de la France médiévale, T3 , 1886, p187.
[2] Op . cit., p 191.

الداخلية

أعطى الملك" فيليب أغسطس" من خلال إصدار عدة مراسيم البداية لبلوغ هذه الغاية السيادية في حياة أي دولة بوضع سياسة نقدية ،تقوم على تحديد عدد العملات المتداولة باثنين و هي الليـــرة الباريسيـــة و الليرة التورنجيية التي كانت تصك في مدينة "تورني Tournai " ، و حدد مقاييسها و التي كان يسمح منها بتداولها خارج المملكة.

لقد عمد مستشارو الملك "فيليب أغسطس" إلى معاقبة من يتعامل بغير هاتين الفئتين من النفود الرسمية ،منها(النقود التي كانت تصكها المجالس الكاهنوتية) ؛وصلت عقوبة المخالفين لحد الإعدام شنقا [1].

لقد بذل مستشارو الملك" فيليب أغسطس" جهدا معتبرا للوصول إلى الوحدة النقدية لمملكة فرنسا، و الدليل على ذلك النظرة الثاقبة التي كانت لعدد منهم للآليات النقـــــــــــــــــدية الســـــــــــــــــارية في تلك الحقـــبـــــــــــــــــــــة ، و بالتالي استطاعوا أن يقللوا من انتشار و تداول العملات المحلية، في شمال المملكة و من حوالي مائة صنف من العملة التي كانت متداولة مع بداية حكم الملك" فيليب أغسطس" في كامل أرجاء المملكة و ما كانت تضربه الإمارات كبيرة و الصغيرة في أوروبا منها– بحسب حجم المبادلات و الحالة الاقتصادية، الاجتماعية و السياسية – استطاع الملك فيليب

[1]CONTAMINE Philippe, Le Moyen- AGE, p 226.

الداخلية

بفضـــل سياستـــه و حسن تدبير مستشاريه أن يلغي مصانع السكة الصغيرة ثم الكبيرة عبر كامل أرجاء المملكة.

و لم يبقى من هذه سوى تلك التابعة للإمارات الكبيرة داخل المملكة مثل (بيرانBEARN ، نافارا La Navarre، أكيتانL'Aquitaine ، فلاندرا LaFlandre، لورين La Lorraine، بروفانسLa Provence....الخ)خارج هذه الوحدة النقدية[1].

إن دراسة السجلات الملكية تبين بأنه نحو 1202-1203 م،كان مصدر المداخيل العادية للملكة من استغلال الأراضي الزراعية بـــنسبة (50 %). و في المرتبة الثانية تأتي عائدات التجارة و ما يجبى من المدن (الضرائب العادية التي يدفعها العوام، ضرائب العملات الذهبية و الفضية كذلك ما كان يدفعه اليهود 1 % ....الخ) جميعها كانت تمثـــل نسبة 20 % يلـــيها بعـــد ذلك الغرامـــات و الحقوق القضائية بـــنسبة : 7 %، أما ما كانت تدفعه الأبرشيات و الأسقفيات و كذلك الأديرة كحقوق الاستخلاف بعد وفاة أسقف أو كبير دير و المقدرة بـــ 05 % و يرى فيها المختصون بأنها كانت تدر أكثر مما تدره الخزينة، الإعفاء من الخدمة العسكرية التي كانت تدفعها بعض المدن. يبقى نسبة حوالي 16 % من مصادر أخرى غير محددة و لم توجد وثائق تتكلم عنها.

[1]Op . cit., p 226-227.

الداخلية

عرفت الإدارة المحلية أحيانا تغييرا و حركة في التعيينات لمختلف الأسلاك من الموظفين، أما الجهاز المقرب من الملك خلال عهد الملك فيليب فبقي مستقر، بل امتد هذا الاستقرار إلى خلفه كل من لويس الثامن وحتى خلال القرن 13م فلم يرد في المصادر المؤرخة لتلك الفترة أي تغييرات في الجهاز الإداري في البلاط أو كما يصطلح عليه- ثورة البلاط-، ثم إن استقرار الجهاز المسير ساهم في سياسة توطيد المملكة و السياسة الملكية و من بين أعضاء هذا الجهاز نجد أعضاء من "طبقة الفرسان" و كذلك من "رجال الدين-الإكليريكيون Le clergé "[1].

لقد أبرز المؤرخ الأمريكي بأعماله " J.W. BALDWIN " هذه الطبقة من الموظفين المالكين في عهد الملك"فيليب أغسطس"، و من بين الفرسان ذكر "آل كلمنت" – أعضاء من هذه العائلة- ذوي كفاءات عسكرية حيث أسندت لهم مهام قيادة الجيوش الماريشالات أما المهام الإدارية البحتة فكانت غالبا من نصيب رجال الدين من مختلف المراتب الكهنوتية نذكر ؛ أبرزهم "الأخ قيرين Guerrin" بحكم ملازمته الملك "فيليب أغسطس" وخدمته له يوميا؛ كانت له بذلك منزلة خاصة، ليتراجع دوره بعد تعيينه أسقفا على" سونليسSenlis "عام. بعد مشاركة" فيليب أغسطس" في الحملة الصليبية الثالثة أصبح

[1] Op . cit., p 194.

الداخلية

اعتماده على" الإسبيتارية Les Hospitaliers " ويتجلى ذلك في دورها المتزايد في تسيير شؤون المملكة، 1213 م، إلا أنه خلال القرن الثالث عشر 13(م) ، خاصة في السنوات الأخيرة[1] من حكم "فيليب أغسطس" الملاحظ هو التوجه المتزايد في تعيين العلمانيين في الوظائف الرسمية.

حيث بدأ مفهوم خدمة الأمير – الحاكم – يأخذ مكانه في فلسفة الحكم و الدولة معلنا الانتقال التدريجي نحو مفهوم مصلحة الدولة.

رغم أن مدارس فرنسا كانت تكون عددا أكبر من هذه النخبة مقارنة لإنجلترا إلا أنهم استطاعوا في فترة وجيزة التكفل بمقاليد التسيير في انجلترا و في عهد الملك فيليب أصبحوا في فترة وجيزة يمثلون نسبة كبيرة من موظفي البلاط، و ممن توكل إليهم الوظائف الحساسة بحيث ورد ذكر اثني عشر منهم في سجلات الملك فيليب و لعل السبب في غزو ملوك فرنسا و باروناتها في استخدام هذه الفئة من المتعلمين هو إعتبارهم وصولين و حديثي نعمة[2].

و من بين رجال الكنيسة الذي أوكلت لهم مهمة و وظيفة أمين الخزينة الراهب "أيمار Aimar" ،حيث أسندت له جباية ضرائب مقاطعة نورماندية بعد غزوها سنة 1204م

[1] BALDWIN JW., Philippe- Auguste et son gouvernement, p 225.

[2] CONTAMINE Philippe, Le moyen -AGE, p 195.

الداخلية

و إلحاقها بالتـــــــــــــــــــــــــاج الفرنســـي الناشـــئ ، و باسم الملك" فيليب أغسطس" وصل إلى اتفاق مع البارونات انتهى بتعويض العملة الإنجليزية بالليرة التورنجية[1]، في إطار التوحيد النقدي داخل أرجاء المملكة، و من بين ما جاءت به المصادر التاريخية هو الأمر الملكي الصادر سنة 1214م، حيث أمر الملك فيليب أمر بتعويض الليرة الباريسية بغيرها من العملات فوق المناطق التابعة لأسقف مدينة "بوفي" و رغم مقاومة المجلس الكنائسي لهذه المدينة إلا أن أسقفها و هو "فيليب صاحب درو" – ابن عم الملك – لم يدعم الحركة المناهضة لإدارة الملكية مما خفف من حدة المعارضة، و لم تدم سوى سنة واحدة انتصرت فيها بعد ذلك عملة الملكية، و انتهى الأمر إلى إلغاء التعامل بالليرة الفرنسية.

يرى المؤرخ الأمريكي* بلدوين بأن فيليب أغسطس أحدث ثورة في مجال الحكم – بإعطائه صلاحيات واسعة لمستشاريه الذين عمدوا إلى فرض إصلاحات نوعية في مجال تدبير و تسيير شؤون الدولة المختلفة مستوحاة من النمط النورماندي السائد في هذا الإقليم و خاصة بعد 1200م[2].

---

[1] LUCHAIRE Achille, Philippe- Auguste et son temps, p 146.

* بالدوين، BALDWIN

[2] BOURRIN DERRUAN Monique, dans nouvelle histoire de la France médiévale,édit duSEUIL,PARIS, 1990.

الداخلية

تجلى التغيير الإداري بصورة واضحة من خلال ما عمد إليه الملك فيليب من مبادرات، و لعله إجابة ملحة أمام تنامي ذلك في عدد من الإمارات المجاورة– نورماندية – بالأخص و وعي الملك بتأخر هياكل إدارته، حيث نظر عدد من المؤرخين إلى إصلاحات الإدارة الملكية على أنها نتيجة حتمية للغزوات الكبرى التي جاءت بعد سنوات 1202 – 1204 و خاصة تلك التي كانت في نورماندية ذات الأطـــر و الهياكل الإدارية المتطورة و التي كانت تحاكي ما كان موجودا في إنجلترا.

إلا أن دراسات حديثة تفند هذا التفسير، لثلاث أسباب رئيسية هي:

– إن نورماندية ليست الوحيدة في الفترة التاريخية ذاتها التي تكتسب نفس النمط الإداري بل نجد ذلك النمط ساري المفعول في كل من : إنجلترا، فنلدرا، شمبانيا، صقلية، و أخيرا و بالأخص في الدولة البابوية Le Vatican.

– أما الثاني يرى أصحابه أن نفس المماليك و إقطاعيات أخرى كان لها دور السبق في ذلك من خلال ما عثر عليه من وثائق و ذلك قبل غزو نورماندية. و أن بداية الإصلاح كان جليا مع سنوات 1190م أي قبل غزو دوقية نورماندية من خلال إعطاء دور متنامي للمتعلمين داخل البلاط خاصة.

– أخيرا و ثالثا أن المقارنة الدقيقة لمؤسسات كل من مملكة فرنسا و نورماندية تظهر لنا تشابها عضـــويا، و في الوقت نفسه اختلافات جديرة بالذكر. – فخضوع الدوقية

الداخلية

النورماندية ليست بداية العملية، بل زادت في تدعيمه و سارعت في تكييفه للنموذج الساري المفعول في مملكة فرنسا[1].

في حقيقة الأمر إن ضرورة الإصلاح أوجبت مجموعة من الحلول أعطت نتائج جيدة في مناطق أخرى لم يسبق للملك " فيليب أغسطس" أن غزاها ،مما يدفعنا إلى القول بوجود تأثيرات أخرى لم يقس بعد مدى تأثيرها لعدم تعرض الباحثين لهالغياب مصادرها.

تمثلت في العناصر التالية: هــو تقريب سلك الموظفيــن الذيــن عينهم الملك – و هم أوفياء له و كذلك يمكن الاستغناء عن خدمتهم في أي وقت – بالشخصيات المحلية و التي كان لها مكانة في الأقاليم قبل أن تلحق بالمملكة و الغاية من وراء ذلك هو التعويض التدريجي و الانتقال من أشباه موظفين إقطاعيين إلى موظفي الدولة. في المقام الثاني فكان المسعى إلى ترسيخ تقليد التوثيق و ديمومة الدواوين، و إعطاء بعد لميزانية الدولة من خلال ضبطها ثم إدخال الصرامة في تسيير شؤون المملكة.

هذه الإصلاحات هي نتيجة التكوين الذي تلقاه هؤلاء الموظفين من الطراز الجديد من تمرس أعطى احترافية فى تسيير ميزانية الدولة. ثالثا كان المسعى هو توسيع سلطة الملك من خلال فرض السلطة القضائية على كامل أرجاء المملكة، و بإحداث تعديلات

[1] حاطوم نور الدين، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا ، ص 117-119

الداخلية

في القانون الإقطاعي لفائدة التاج و التقليص من صلاحيات الإقطاع، و كذلك المجالس الكنائسية. إن من نتائج إلحاق الأقاليم الجديدة إداريا هو أن الملك لا يمكن أن يكون صاحب هذه الأخيرة و مالكها بحرية مطلقة بل يكتفي بتغيير الأمراء المنهزمين و الذين تمت تنحيتهم كما هو الحال بالنسبة لدوق "نورماندية" و كونت" ألانجو". و مع ذلك بقيت في هذه الأقاليم أجزاء ليست خاضعة لسلطة الملك المباشرة، هذه الإقطاعات تكون آليا تابعة للملك في حالة ما إذا كانت من قبل خاضعة لدوق، كونت صاحبا هذه الاقطاعات أو لسيادة المجالس الكنائسية أو مجالس المدن.

كما لا يمكننا تجاهل ما أصبحت تدره هذه المناطق الجديدة من داخيل في خزينة الملك، و باستقرار الوكلاء الملاكين بها أعطى ذلك دفعة في نوعية تسيير الضياع و الممتلكات الجديدة مما سمح أيضا بشراء إقطاعيات أخرى و بالتالي مدا خيل جباية جديدة.

يرى المختصون في تاريخ الأقاليم الشمالية من فرنسا و من خلال العقود الخاصة و الإعفاءات الضريبية التي وجدت في السجلات الملكية و الصادرة عن البلاط و عن المجالس القضائية التابعة للبلديات ،و عن الكنائس

الداخلية

المحلية أنه أصبح الخاصة من النبلاء يسيرون الشأن العام و أن هذه المجالس يعاد تجديد أعضائها و من ذلك الإعفاء الذي أغدق به الملك فيليب على مدينة "آراسArras "سنة 1194م، و مما جاء فيه: "..أن تجديدها يتم كل أربعة عشر شهرا عن طريق الأعضاء القدماء و أن عليهم اختيار من يتسمون بالحكمة و الأمانة منهم و بعبارة أخرى صفوة النبلاء"[1].

و الملفت للانتباه هو تنازل الملك" فيليب أغسطس" عن تسيير و إدارة شؤون المدن، و كذلك الأمر بالنسبة لخلفه" لويس الثامن"، حيث أن الإدارة المدن، ذات النمط الذي أحدثه هذا الملك ومن بعده خلفه، بدأت تأخذ مجراها : بحيث أضحى رئيس البلدية. و الوكلاء الملكيون يعملون جنبا لجنب، مستنجدين برجال القانون لإيجاد الحلول المناسبة في تسيير شؤون المدينة، و أضحى هذا المجال الجديد رحبا و متسعا للملك، النبلاء و طبقة الصناع و البرجوازية. بل أكثر من ذلك، فإن حضور سلطة الملك سهلت عملية الجباية من الضرائب المباشرة التي كان يدفعها عامة الشعب في المدن.

لقد انتقلت العلاقة بين الملك و المدن من إطار المساعدة العسكرية من خلال التجنيد الإجباري الذي تفرضه طوارئ الحروب إلى التناسق الإداري و المالي، و رغم

[1]BARTHÉLEMY Dominique, nouvelle histoire de la France médiévale, T3 , p 153.

الداخلية

الاعتراف بأحقية مجالس المدن في التمتع بحريتها إلا أنه و من حق الملك مراقبتها و أول إجراء رقابي هو تدوين و إصدار قوائم مكتوبة لعدد هذه المجالس البلدية و نوعية الإعفاءات الضريبية و التبرئة الممنوحة لها[1].

إن من أقدم الامتيازات التي منحها الملك" فيليب أغسطس" كانت لتجار الخمور المؤطرين داخـــل المنظـــومة الهنسية* ،لعل السند القانوني المتمثل في مرسوم 1192 تثبيت لامتياز صدر سنة 1121 م إلا أنه أضيفت إليه خصوصية أن يكون التاجر من برجوازية مدينة باريس، و الذين لهم لوحدهم الحق في تفريغ حمولتهم من الخمور على الأرصفة النهرية للمدينة و إيداعها في كرار النبيذ و يرى المؤرخ "ر. ديون R Dion" بأن من بين العوامل التي ساعدت في قيام النهضة و تحرر المدن هو تجارة الخمور، و كذلك بالنسبة لبقية النشاطات التجارية فما على أصحابها سوى الدخول في شراكة مع تجار باريسيين، و بالأخص رواد الأسواق التي كانت تقام بصفة منتظمة[2].

و في سنة 1220 ذهب الملك "فيليب أغسطس" إلى فرض إتاوة سنوية للتجار كضريبة على القياس و مزادات العلنية الذي يكون عند تفريغ كل شحنة من الخمر و كذلك عند كيل مختلف أنواع الحبوب، و من حق هيئة التجار الباريسيين تعيين و توقيف

---

[1] FOURQUIN Guy, Histoire économique de l'occident Médiéval, p 211.

* الرابطة الهنسية، La HANSE

[2] GUY FOURQUIN, Histoire économique de l'occident médiévale, p 232

الداخلية

ممتهني القياس والمزادات العلنية. و من بين القرارات التوحيدية داخل المملكة و المثبتة لسلطة الملك و القرارات الصادرة من عنده؛ أنه في عام 1209 م جعله تحت حماية السلطة الملكية، التجار القادميين لعرض سلعهم في المعارض Les FOIRES المحلية الصغرى و الكبرى منها كإجراء منه بتأمين الطرق و إحلال الأمن[1].

أما الأقاليم التي دخلت حديثا تحت لواء المملكة نادرا ما يتم تغيير الهياكل الإدارية بصفة سريعة، حيث تتم عملية دمج هذه الأخيرة من النمط الإداري الفرنسي بطريقة مرنة، و من ذلك ما حدث في نورماندية أين احتفظ الملك "فيليب أغسطس" بالمجلس المالي المحلي بينما أخذ الوكلاء الملكيون يستحوذون على مقاليد التسيير بدل الموظفين المحليين، و على العكس من ذلك في المقاطعات التي لم يتم تطوير إدارة مركزية قوية و أين ظلت السلطة بين يدي طبقة من الإقطاعيين كان عليه تقبل دورهم الفعلي، فمثلا في مقاطعة أنجو أين كان على الملك فيليب تثبيت غيوم دي روش في مهامه الوراثية، و كذلك بالنسبة في إقليم البواتو و الذي ظل كبار الإقطاعيين يهيمنون على الحياة العامة له، و لم يتسنى للملكية و قوة الملك فيليب من فرض بشكل حازم[2].

[1] Op .cit., p 284.
[2] JEAN FIORI, Philippe- Auguste, p 120.

الداخلية

مجالس المدن والامتيازات الملكية :

كانت هذه الأخيرة في السابق تابعة لسلطة النبلاء من العلمانيين أو أولائك التابعـــين للسلطة الكهنوتية، و مع ازدياد المدن و تعدد مصادرها المالية زاد في ثرائها مما جعل القبضة الإقطاعية عليها تتقلص مكونة تجمعات مستقلة ما جعل منها قوة متعددة الأوجه و ذات استقلالية بالموازاة مع سلطات أخرى تمثل الإقطاع – دوقات و كونتات – كذلك المجالس الديرية خارج أسوار المدن، مما أعطى لها الأهلية القانونية للتفاوض باسم هذه المدن لعقد مختلف المعاهدات أو الولاءات الإقطاعية. إن تسيير هذه الهيئات المدنية من طرف شخص غالبا ما يكون منتخب من قبل أقرانه أعطى لها سلطة روحية و قانونية لمواجهة الإقطاعيين.

لقد أبدى الملك فيليب عموما توجها إيجابيا إتجاه المدن و طلباتها المتزايدة من أجل الحصول على عقود الامتيازات، و الإعفاءات، فخلال حكمه تحصلت أزيد من عشرين مدينة من الحوض الباريسي، بيكارديا و نورماندية و أحيانا لبعض المدن المتواجدة داخل نطاق الحوزة الملكية[1] على إعفاءات و برأت متعددة في سياسة الملك "فيليب" لتوطيد و توسيع السلطة الملكية.

[1]ACHILLE LUCHAIRE, La société française au temps de Philippe –Auguste, Paris,1 , 1909, p 220.

الداخلية

أما عن أسباب ذلك الدعم يرى فيها المؤرخ"لوشير" على أنها ذات بعد سياسي لكون طبقة البرجوازية تشكل عاملا إيجابيا في صراعه مع طبقة الإقطاعيين و هي بمثابة مضاد طبيعي أمام هؤلاء، و مما زاد من الثقة بين الملك و البرجوازية أمام الند المشترك لتقليص حجم و سلطة كبار النبلاء، و بالتالي فرض سلطة الملكية الفعلية[1].

و من الملفت للانتباه هو كون هذه المدن لها مواقع إستراتيجية على حدود الأحواز الملكية و هي بذلك بمثابة حدود مع مناطق الصراع العسكري خاصة في الشمال و الشمال الغربي. كما يجب التنويه هنا بأن إصدار العقود المختلفة كان يرافقه تعهد هذه المدن بتزويد المملكة بالوحدات العسكرية كلما استدعت الطوارئ المتجددة ذلك بالإضافة إلى الدعم المادي و الإمدادي و تكون هذه المدن القلاع تابعة للملك فيليب لا لغيره. و لقد تبين دور الميليشيات البلدية الحاسم خلال حروب فيليب و خاصة معركة بوفين[2].

عمد فيليب إلى الحد من سلطة النبلاء داخل الجهاز الإداري بالبلاط و كذلك في الأقاليم في إطار السياسة الشاملة المتمثلة في استغلال دعم المدن من خلال المواثيق الممنوحة[3]. و ضمان ولائها بذلك. إلا أن هذه البرات و المواثيق أصبحت نادرا ما تمنح

---

[1]ACHILLE LUCHAIRE, Histoire des institutions Normandie de la France(987-1180), p 123-124.

[2]G. Duby, Le dimande de bouvine, , p 125.

[3]JEAN FIORI, Philippe Auguste, p 121-122.

الداخلية

بعد انتصاره في بوفين، كان لدخول طبقة الكتاب من أصول متواضعة خدمة البلاط بدل أولئك الموظفين من طبقة النبلاء و هو ما نجح فيه على خلاف سلفه (لويس السادس – و لويس السابع) حيث كان العرف يقتضي توريث الوظائف و المهام و الهادف من ذلك هو ضمان ولاء مساعديه و استغلال قدراتهم المهنية فبعدما كانت وظيفة كبير المستشارين شاغرة في سنوات حكم فيليب الأولى و أيضا وظيفة ضابط الإسطبلات و كلاهما تشكل أساس الإدارة داخل البلاط. لقد عمد الملك فيليب خاصة بعد عودته من الحملة الصليبية إلى الحد من سطوة كبار الإقطاعيين داخل البلاط و خارجه باستثناء كل من أسقف مدينة بوفي فيليب دي دور و كذلك غيـــوم دي شمبانيا، و كلاهما من أقربائه[1]، إلا أن وجود كبار الإقطاعيين في المراسيم و الاحتفالات ظل دائم و كذلك إلى أهمية الدور الحربي من خلال الخدمة العسكرية الإجبارية و كذلك السفارات الدبلوماسية و إلا أن هذا الدور أضحى يتراجع مع الوقت .

لقد عبرت كتابات مؤرخين ممن عايشوا هذه الأحداث و تم إبعادهم عن الحياة العامة خاصة أولئك الذين بقيت أقاليمهم موالية ل: "آل بلنتجيني" عن احتقارهم لهؤلاء الوافدين الجدد و الذين يعتمد عليهم الملك في تسيير شؤون دولته و مما زاد في سخطهم

[1] GUILLAUME le MARECHAL, Histoire de Guillaume le MARECHAL, vol3, p 220.

الداخلية

كون هؤلاء يجتمعون في جلسات مغلقة ذات محاضر سرية.[1]، و تقليص أعضاء هذا المجلس و تحديد أعضائه – من الموالين للملك بنسبة أكبر.

بينما كان مجلس المقربين عند آل بلنتجيني موسع و من طبقة النبلاء في أكثر نسبا في حفظ أسرار الدولة و عاملا إيجابيا في نجاح سياسات فيليب و حروبه أمام خصومه[2].

فمثلا لم يكن الملك فيليب يستشير إلا الراهب قيران و برتليودي روي على العكس من ملوك إنجلترة الذين يعتمدون في استشارتهم على عدد كبير من الإقطاعيين. مما جعل القرارات الهامة تتكشف بسرعة خاصة إعلانات و تواريخ الحملات العسكرية.

يتكون مجلس الملك من عدد محدد من الأعضاء نذكر منهم الراهب قيران العضو البارز في جماعة الإستارية رغم كونه من عامة الشعب و كذلك ذي المكانة المرموقة داخل ذات المجلس لكـــونه صاحب سر الملك. من خلال ترأسه المجلس المالي و خلافته لرئيس أساقفـــة مدينة ريمس في أعلـــى مجلـــس داخل المملكـــة، و كقاضي في المحكمة الملكية دون إغفال دوره الحربي البحت خاصة في تنظيـــم الجيش و تحديد إستراتيجيته الحربية – معركة بوفين –، أما الشؤون المالية و تسيير عوائد المملكة و خزانتها فكانت من نصيب راهب آخر ألا و هو أيمار من تنظيم البابوية.

---

[1] Op . cit., p 288.

[2] JEAN FIORI, Philippe -Auguste, p 123.

الداخلية

بالإضافة إلى الرهبان و رجال الدين كان بلاط الملك فيليب يتكون من فرسان علمانيين ينتسبون إلى الطبقة الإقطاعية الوسطى أو السفلى . و لعل برتليميو دي روي أبرزهم، فهذا الأخير هو الإبن الأوسط لنبيل من نبلاء مقاطعة فيرمو ندراء عمل في بلاط الملك فيليب كفراش خاص له. و كانت له بعد ذلك مهام متعددة منها ما هو عسكري ، سياسي ، و قضائي. دون إغفال ذكر فارس آخر كانت له مهام عسكرية بحتة و خلده الإخباريون بأنه أنقذ الملك فيليب في معـــركة بوفيـــن بعدما قتل جواده[1] ألا و هو غيوم دي بار.

هؤلاء الذين نالوا ثقة الملك فيليب كانت لهم مهارات عالية. منهم من يعود نسبه إلى أسر خدمت ملوك فرنسا من آل كابي، و بالتالي ورثوا شرف خدمة الملكية و بتفانيهم المتجدر حظو بثقة الملك إلا أنهم كانوا أقل تخصص في ميدان معين فهم ينتقلون من مجال إلى آخر من القضاء، أو المالية و كذلك متابعة ورشات البناء التي بدأ الملك فيليب في إنجازها خلال حكمه. الاستثناء الوحيد كان في شخص الراهب آيمار أو أفراد عائلتي دي بار و كلهينس الذين كانت مهامهم منحصرة في مجالات تخصصهم، و من ميزات

[1] GUILLAUME de LORRIS et autre, Le roman de la Rose ,p 250.

الداخلية

أعضاء بلاط فيليب هو العمل الجماعي و التكميلي فيما بينهم و بالتالي تجانس السياسة الملكية في مختلف المجالات[1].

و من مميزات و سمات هؤلاء الرجال: الوفاء للملك و التفاني في خدمة المملكة و سيدها الأول، كما لم تكن لهم طموحات بعيدة المدى.غير أن هذه الوظائف مكنتهم من مصاهرات يجنون منها فوائد مادية و معنوية. أما الرهبان فكانوا يحضون في آخر المطاف بتعيينات في مناصب أسقفية.

الحوزة الملكية و صراع الملك مع الإقطاعيين داخلها و خارجها:

عمد الملك " فيليب أغسطس" إلى الخروج من إطار المملكة الذي ورثه عن أجداده و السعي إلى توسيع حدودها و فرض سيطرته على مختلف أطياف المؤسسة الإقطاعية من خلال تطبيق تقاليد و قواعد القانوني الإقطاعي و الذي هو في تطور نحو التدوين[2]. و من ذلك قيام التابع بالواجبات التي هي عليه و أولها تحية – الولاء حيث لم تعد مجرد مراسيم لفظية و تقليد وقتي لا يتعدى اللحظة الزمنية التي يؤدي فيها المولى التحية لسيده و لكن أصبح يدون و تحفظ عقوده في السجلات الملكية خاصة بعد إنشائها في عام 1204م.

[1] JEAN FIORI, Philippe -Auguste, p 124.
[2]JEAN FIORI, Philippe- Auguste la naissance de l'état monarchique, p 76.

الداخلية

لقد عمد الملك فيليب إلى ترسيخ تقليد كتابة القانون الإقطاعي و وضع قواعده الأساسية و ما تأتي به الاجتهادات القانونية من خلال تدوينه حتى يصبح شائع الاستعمال مرسخا بذلك سلطته داخل المملكة انطلاقا من كونه السيد المطلق لكل الإمارات الإقطاعية صغيرة كانت أم كبيرة.أضحى الملك فيليب أغسطس يتدخل في حياة شعبه و من ذلك فصله في أمور شعبه البسيطة و خاصتهم من ذلك تدخله في قضايا الزاوج و المصاهرات من أهمها ارتباط ملك إنجلترة حنا عديم الأرض مع إيزابيل دي "أنقولام" حيث رفع آل ليسنيان القضية أمام القضاء الملكي مما دفع بالملك فيليب إلى إستدعاء الملك الإنجليزي للمثول أمامه.

مع بداية عهد الملك فيليب بدأت ملامح صراعات بين أكبر الإمارات الإقطاعية و هي – شمبانيا، ألانجو، بالإضافة إلى القوتين الكبيرتين خارج فرنسا و هي الإمبراطورية الجرمانية في الشرق و إمبراطورية الأنجلو – نورمندية في الغرب.

ففي المرحلة الأولى سعى الملك فيليب إلى توطيد علاقته مع كونتية الشمال فلاندرة. من خلال زواجه من الأميرة "إيليزابيت دي هينو"، و الابتعاد التدريجي من كونتية شمبانيا رغم أن والدته آديل كانت من أصول شمبانية و كذلك الإعتاق من هيمنة

الداخلية

أخواله و استقلاليته الفعلية[1]. و خارج هذه كان الملك الفرنسي يطالب بسيادته على عدد من الإقطاعات و المتباينة من ناحية الرقعة الجغرافية و القوة الاقتصادية و العسكرية، و رغم البعد في المسافة بينها و بين مقر سلطة آل كابي بباريس و أحـــوازها، و رغم انعزال هذه الأقاليم عن بقية العالم الغربي مثل مدن "كليرمونت" و كونتية "أوفارنيا" مما زاد من النزعة الاستقلالية من هذه التشكيلة الغير متجانسة نحـــــــــــــــو الملك الفرنســـــــــــــي و دوق أكيتانيا. أما دوقيات كـــــــــــــــــــل مـــــــــــــــن برجنـــــــــــــــديا و كونتيات مدن أوكسير و نوفير فكانت سلطتهم لا تتعدى أحوازهم القريبة[2].

أما مناطق الجنوب البعيدة مثل قسكونيا، بروفانس، و لانغدوك فكانت عملية التوسع نحوها لاحقة لتاريخ 16 جويلية 1214م أين انتصر الملك الفرنسي انتصارا في بوفين، و هو ما يعتبره المؤرخون الفرنسيون الإعلان الحقيقي لبداية الوحدة السياسية لفرنسا ، و لكون الأمير لويس الثامن هو المنفذ له من خلال حملته على بدعة الألبيجيين[3].

---

[1] WILLIAM MENDEL NEWMAN, Le domaine royal sous les premier capétiens (987-1180), p 200.

[2] John BALDWIN, Philippe- Auguste et son gouvernement, p 34.

[3] ACHILLE LUCHERE, Philippe- Auguste ET SON TEMPS, p .96

*(جاء هذا التوغل نتيجة ظروف و أسباب سنتعرض لها في الفصل الثاني)

الداخلية

وئ سنقتصر في هذا الفصل على أكبر الإقطاعات لأنها الخطوة التي ستمكن للملك الفرنسي من فرض سلطته العسكرية و السياسية على كبار الدوقيات ، الكونتيات ، البارونات و الذيـــــــــــــن كـــــــــانـــوا يعـــــــــــــــــــــترفون به و بسلطته اسميا فقط.عمد فيليب بعد سنة 1201م إلى ترسيخ سلطته خارج إطار الحوزة الملكية كمقدمة للمواجهة الحاسمة مع أعدائه التقليديين ملوك "آل بلنتجيني" من خلال مبادرات عدة و مناورات كتب لها التوفيق و تجمعت لها كل الأسباب لذلك معتمدا على نصوص القانون الإقطاعي يتدخل بنفسه في تحديد و تؤول إليه إمارة شمبانيا عند وفاة "تيبو" الثالث مبتدئا عملية التوسع الإقليمي إلى أبعد من ما كانت عليه حدود دولته و فرض وصايته على أرملة " تيبو الثالث "و كذلك تسيير أراضـــي المتـــوفي و ضياعه[1].

من جهة أخرى يرى المؤرخ الأمريكي بلدوين بأن الملك فيليب "عمل جاهد إلى تجسيد النظرية التي بنيت عليها المجتمعات الإقطاعية في الواقع و التي بنى أسســـها مستشار أســـلافه لويس الســـادس و السابع "سوقر"..." [2] فهو بفعل سياسته الهادفة إلى تدعيم سلطة الملك و إخضاعه لكل شرائح المجتمع الإقطاعي الكبيرة و الصغيرة إنما يجسد مبدأ عدم قيام الملك الفرنسي بواجب الولاء لغيره مهما كانت قوته سواء كان من

[1]JEAN FIORI, Philippe- Auguste la naissance de l'état monarchique, p 78.

[2]John BALDWIN, Philippe- Auguste et son gouvernement, p 335

الداخلية

الإقطاع أو من الكهونت...الخ[1]. لقد عرفت الفترة الممتدة بين 1206- 1223 م ، بداية بسط سيادة الملك على هذه الإقطاعات و بالتالي توحيد أجزاء كبيرة من فرنسا الحالية كانت في معظمها خاضعة لسلطة ملوك إنجلترة. كما هو الحال بالنسبة لنورماندية، أو لكبار الأمراء منها فلندرا و شمبانيا. سمحت الهدنة التي أبرمت بين الملك فيليب أغسطس و حنا عديم الأرض في مدينة توارسن بإقليم بواتو في 13 أكتوبر 1206 للملك فيليب بتوجيه كامل مجهوده الحربي و الدبلوماسي لتحقيق الوحدة بين أجزاء من فرنسا و كبير شوكة الإقطاعيين الكبار من خلال تقليص صغار أصحاب الإخاذات[2].

و ذلك من خلال تشجيع و فرض أولوية الابن البكر في الميراث مما سهل عملية تجميع الإقطاعات و الإمارات، و بالتالي التقليل من عدد الأبناء الصغار التابعين الأبكار من الأبناء، وكتقليد جديد لم يكونوا مجبرين على أداء تحية الولاء له كما كان معمول به سابقـــا و لكن الإقطاعـــي الأكـــــــــــــــبر و هـــــــــــــــو الملك فيليب[3] و بهذه التقاليد الجديدة بدء الانتقال التدريجي نحو سلطة الملك و ترسيخها.

---

[1] Ibid, p. 336-380-382.

[2] ACHILLE LUCHERE, Philippe- Auguste et son temps, p 84.

[3] GAUTHIER, Philippe- Auguste : le printemps de la nation français, p 220.

الداخلية

من جهة أخرى لم يكن مسموحا للتابع بالزواج قبل أخذ إذن السيد الأكبر و هذا التقليد أصبح مطبقا خاصة عند تزويج البنات من طبقة النبلاء و كذلك الأرامل خاصة في حالة كونهم الوارثين الوحيدين.

و في بداية عهده عمد الملك فيليب إلى فرض حقه في الوصاية خاصة في ما يتعلق خلافة المتوفين من كبار الأمراء في المملكة، و من ذلك ما ورد في السجلات البلاط كما أورده آشيل في حديثه عن الإقطاع و صراع الملك فيليب معه حيث يقول :"أن وريثة كونتية "نوفير" و "أوكسير" تزويجهما بعد الموافقة المباشرة للملك ..." [1] تطور هذا الإجراء بعد تاريخ 1200م و أصبح ساري المفعول حيث شمل كبار الدوقيات و منها قضية أرملة كونت شمبانيا و الذي خلف بنتا واحدة و رغم كون الأولى حامل إلا أن ذلك كان محل تشكيك حول نسبه مما سهل للملك فيليب المطالبة بالوصاية على الأرملة و ابنتها و بالتالي فرض عليها عدم التزوج دون إذن الملك، و كذلك الأمر بالنسبة للبنت عند تزويجها. و في عام 1212م يزوج فيليب أغسطس آليس دي بريتانيا و الذي كانت له الوصاية عليها بابن عمه "بيار دي درو"... و بذلك حقق الملك فيليب رقابة حتى على المصاهرات جاعلا منها أداة دبلوماسية

[1] ACHILLE LUCHERE Philippe- Auguste, la naissance de l'état monarchique, p 78.

الداخلية

و سياسية في أن واحد ، و هو ما مكنه من ضمان ولاءات جديدة و طريقة مثلى لمكافئة الأوقياء من طبقة الفرسان و العلمانيين الطامعين في تحقيق ارتقاء في السلم الاجتماعي خاصة و هو أكثر من ذلك أداة في تثبيت الروابط الإقطاعية[1].

و من ذلك وعد دوق بريتانيا آرثر في عام 1202 بتزويجه ابنته ماري من زوجته آنياس دي ميران بعد أن أضفى البابا إينسانت الثالث في عام 1201م الشرعية على هذا الزوج و مـــــــــــــــا كـــــــــــــان منه من أبناء. و رغم إن هذه البنت في عامها الخامس إلا أن دوق بريانيا توفي قبل تحقيق ذلك لتتزوج بصاحب مدينة " نامير" و الوصي على وراثة كونتية فلندرا، مما كان له أثره خاصة بعد وفاة صاحب مدينة نامير و تزويج ماري مرة أخرى من دوق إقليم "البرابان" بحيث كان مكسب سياسي من مناطق عرفت بولائها التقليدي لملوك إنجلترة[2].

لقد كان لما جاء في الأمر البابوي الصادر سنة 1202م بعد الصراع بين البابوية و الإمبراطور الجرماني ليرسخ علو الملك الفرنسي أمام أي سلطة زمنية أخرى " الملك هو إمبراطـــور في مملكـــته.... و لا يعترف بأي حاكم أعلى منه ..." [3] .

---

[1] JEAN FIORI, Philippe- Auguste la naissance de l'état monarchique, p 78.

[2] PHILIPE NEMO, L'histoire des idées politiques dans l'antiquité et au moyen age, p687.

[3] Op. cit., P 687.

الداخلية

و الحال نفسه عند وفاة دوق بريتانيا وحفيد هنري الثاني بلنتجيني و بعد زواج أمه كونستانس مع "غي دي توار" و إنجابها بنتين، يساند فيليب البكر منهم في مطالبتها بحقوقها في دوقية بريتانيا و كان قد زوجها من قبل مع ابن عمه "بيار دي درو" و الذي أدى له يمين الولاء بأن يكون التابع الموالي للملك و أنه هو سيده الوحيد[1]. بعدما كان إقطاعي صغير ليس له نفوذ كبير بعد هذا الزوج و المؤازرة الملكية استطاع بذلك الارتقاء في سلم المجتمع الإقطاعي و بالتالي فرض تابع من أتباعه على رأس دوقية بريتانيا[2].

مما دفع بالملك الفرنسي إلى الإجهاز على ذات الدوقية بحملة عسكرية في ربيع 1206م بمعية ابنة الأمير "لويس" و "غيوم دي روش" إلى مدن "آنجي" و " شنتوسي" عند مصب نهر اللوار. فاتحا المدينتين دون عناد ليقوم برجوازية مدينة نانت بتسليم مفاتيح مدينتهم، و مما جاء في مقال بمجلة العصور الوسطى للمؤرخ "أودوين" بأن الجيش الملكي وصل إلى مشارف مدينة "زاين" عاصمة الإقليم و يستشهد بوثيقة من أرشيف كاتدرائية مدينة نانت و المؤرخة في سنة 1206 م ، حيث جاء فيها في السنة التي بسط فيها ملك

[1] ACHILE LUCHAIRE, Philippe- Auguste et son temps, p 84.

[2] BARTHÉLEMY Dominique: (nouvelle histoire de France médiéval), T(III) : L'ordre seigneurial XII^{e} – et XIII^{e} siècle, p 94 .

الداخلية

فرنسا المعظم سلطته على كامل بريتانيا[1] – حيث قام الملك الفرنسي بمنح امتيازات و مناصب إلى المقربين من حاشيته منهم "موريس دي كرون" و "أندري دي فيتري" مدن لاقرناش و بلورمـــــــــــــــال في منطقـــــــــــة الموربيو و للثاني مداخيل أحواض الملح في منطقة قيروند. أما "غي دي توار " صهر الملك فكانت من نصيبه إقليمي "فان " و "الكورنويل".

كما يذكر آشيل ليشار بأنه تم ضرب عملة في مدينة نانت راين و قنقون باسم الملك فيليب ... * و أن هذه المرة يجسد واحد من سلالة آل كابي بصفة ملك فرنسي في مقاطعة بريتانيا على ضفاف المحيط الأطلسي..." [2].

أما فيما يخص نورماندية فالأمر لم يكن بالسهولة التي كانت وجدها في جارتها بريتانيا، و حسب ما جاء به بعض المؤرخين من الإنجليز و النورمانديين في كتاباتهم مما يآخـــــــــــــذ عليه تعديه على ممتلكات الأديرة و سلبه ما كان بها من أموال، كما أسند كل الوظائف و المهام إلى نبلاء من غير النورمانديين، مما دفع بهم إلى الاستنجاد بحنا عديم الأرض سيدهم السابق سنة 1205و بعد ذلك بسنتين 1207 م يدخل إلى مدينة

---

[1] EDOUARD AUDOUIN, Essai sur l'armée royale au temps de Philippe Auguste, revue de moyen –âge, n° 86 p 13.

* مما جاء في هذه النقود باللغة اللاتينية في الوجه : Philippus–Rex و في الظهر Dux–Britannie

[2] ACHILE LUCHAIRE, Philippe- Auguste et son temps, p 85.

الداخلية

"روان"[1] دون أي مقاومة تذكر كما جاء به المؤرخ النورماندي و يفرض ضرائب باهظة على ساكنيها.

من النتائج التي تولدت عن غزو نورماندية كما يقول المؤرخ الأمريكي "بلدوين" هي الدخول المتتابع تحت سلطة الملكية الفرنسية دون شرط لكل من شمبانيا، بريتانيا و الأوفرن.

أما مقاطعة "البواتو" كان لدعم غيوم دي روش أثره[2] في الإسراع بإخضاع كبار و صغار النبلاء بها حيث أسند المهام الكبرى للمؤثرين من طبقة البارونات في تسيير الحياة العامة منهم "إيلي كونت دي بيرقور"، "جوفراوا مرتل" و "رؤول دي إكسودين" مما عجل بدخول إقطاعياته المختلفة تحت سلطة الملك الفرنسي لكن في مقاطعة أكيتانيا كان مختلفا تماما حيث قامت توزات تزعمها عدد من كبار الإقطاعيين منهم "قي" و "سفاري دي موليون" مع بداية 1206 م لتشمل كامل بلاد البـــواتو شمـــالا و رغم نزول حنا عديم الأرض بجيشه في مرفأ لاروشال و استرجاعه جزء من البواتو و توغل في بريتانيا إلا أنه تحاشى الاصطدام مع الملك فيليب و التجأ إلى التحصن داخل حصن مدينة "نوارز"

[1] ACHILE LUCHAIRE, Philippe- Auguste et son temps, p 86 .

[2] John BALDWIN, Philippe- Auguste, p 256.

الداخلية

بإقليم البواتو و لقد خلد أحد الشعراء الغنائيين هذا الحصار واصفا سقوط مدينة "توارز" في يد الملك بأنه أكبر عار أصيبت به بلاد البواتو[1].

إلا أن ثورة منطقة البواتو كلها جعلت الملك يتراجع عن مخططاته التوسعية و القبول بهدنة لمدة سنتين تم التوقيع عليها يوم 26 أكتوبر 1207 و مما جاء فيها: " إن ملك إنجلترة يعلن عدم مطالبته بالأقاليم التالية و هي : نورماندية، الماين، برتانيا، التورين و ألانجو.. أي القسم الغربي من فرنسا و الواقعة شمال نهر اللوار..." [2] و يرى المؤرخ الأمريكي بلدوين – إعتراف ضمني من حنا عديم الأرض. بما تحصل عليه الملك فيليب أغسطس[3] من أقاليم جديدة، كما يرى في هدنة توراز وسيلة في تثبيت توسعات الملك الفرنسي*[4]، ظفر بدعم ثمين من عدد كبير من البارونات إلا أنه وفاؤهم يبقى نسبيا بحسب تطور الأحداث.... [5]

و من تداعيات هذه الهدنة عودة حنا عديم الأرض إلى إنجلترة حيث أنه كان بين جبهتين، يقاتل في الشمال مع الملك الفرنسي و في الجنوب مع ملك فشتالة ألفوسو الثالث

---

[1] BOURNAZEL Eric., Histoire générale des systèmes politiques, Les Féodalités, P 476-484.

[2] ACHILE LUCHAIRE, Philippe- Auguste et son temps, p 85.

[3] John BALDWIN, Philippe- Auguste, p 255

* يرى جون بالدوين بأن تاريخ هدنة توارز كان يوم 13 أكتوبر .

[5] Op . cit., p 256.

الداخلية

عشر بعد ما حاصر مدينة بوردو و إجتياحه بلاد قسكونيا قبل ذلك. إلا أن عمر الهدنة كان قصيرا، فبعد ستة أشهر و مع بداية ربيع 1207 م ينقضها الملك الفرنسي و يجتاز نهر اللوار ملحقا أضرارا جسيمة بضياع فيكونت توارز و يستولي على قصر "بارتني"، و في عام 1208 م يتواجد كبير قادة جيوش الملك فيليب أغسطس "هنري كليمانت" رفقة كبير وكلائه "غيوم دي روش" في معركة مع فيكونت توارز و معـــه "سافري دي موليون" منتصـــرين علـــى الفيكـــونت و حليفه و ممن أسر في معركة ابنه و أخيه متعرضين لفترة سجن طويلة بباريس مما دفع طبقة الإقطـــاع و كبار ممثليها على الخصوص إلى الرضوخ لسلطة الملك الفرنسي، و القبول بمعاهدة سلام جديدة .

الداخلية

الملك فيليب أغسطس و رعيته:

يقسم إتيان دي فوجير Etienne de fougères أسقف مدينة راين بين (1160-1174) في المجتمع الإقطاعي إلى ثلاث طبقات لكل وظيفة معينة، و هم رجال الدين و عليهم بالصلاة من أجل خلاص جميع أطياف المجتمع الإقطاعي، أما الفرسان فمهمتهم الدفاع و الذود عن الملك و الكنيسة الكاثوليكية ضد أعدائها، أخيرا الفلاحين فأوكلت إليهم مهمة الكد و الحراثة من أجل أن ينعم البقية بخيرات الأرض[1].

و عند نهاية القرن 12م أضحى الملك فيليب على رأس هذه الطبقات الثلاث، بل هو الضامن لاستقرار و المنظم لديمومة هذا العقد الاجتماعي، السياسي و الاقتصادي. فعلاقته مع رجال الدين تجعل منه ندا لهم كونه صانع للخوارق كما جاءت به كتابات تمجيدية لكتاب الحوليات، مما يضفي عليه نوعا ما القداسة، و كذالك مع طبقة الفرسان فهو مثلهم يحارب و يخوض المعارك دفاعا عن رعيته و حامي الكنيسة و قائدها البابا[2].

إلا أن صعود البرجوازية و ترسيخ سلطة الملك المتزايدة أدى مع مرور الوقت إلى إخلال هذا التوازن الذي جسدته أدبيات العصور الوسطى، و جعلت من طبقة الفرسان

---

[1] JEAN FIORI, Philippe -Auguste, p 128 .
[2] COLETTE BEAUNE, Histoire générale des systèmes politique, les monarchies médiévale , p 162.

الداخلية

جماعة لها قواعدها الأخلاقية وأهدافها السامية في الحياة ليتراجع دورها و معه سطوة الطبقة الأرستقراطية.

أما الكنيسة الحاضرة زمنيا و مكانيا في حياة العصور الوسطى و الساعية إلى تسيير المجتمع وفق مصالحها التي تعمل إلى ترسيخها و أبديتها تحت غطاء الأهداف السامية التي تبشر بها. فهي تنصح الملوك و الأباطرة و كل أصحاب السلطة الزمنية و تهديدهم بسلاح الحرمان.

و يتأكد حضورها في مراسيم الترقية إلى مصاف الفارس عن طريق تدريع و تسليح أحد أعضاء طبقة الأرستقراطية و بالتالي انتمائه إلى جماعة الفرسان، و إلى جانب ذلك فقد لعبت دورا في ترقية التجار البرجوازيين و إعطاء القبول و التزكية من المجتمع الإقطاعي بأطيافه بعدما كانت منبوذة و نشاطها مقرون بالجشع[1] و في المقابل دعمت البرجوازية حركة بناء و تشيد الكاتدرائيات خلال نهاية القرن 12م و 13م، كما ساهم الحرفيون في هذه العملية مؤسسين لمعالم الفن الديني المعماري و الذي عرف من بالطراز" القوطي".

[1] REGINE PERNOUD, Lumière du Moyen age , p 89.

الداخلية

أما الأقليات مثل اليهود و الهراطقة فقد كانت منبوذة و تعيش على هامش المجتمع الإقطاعي و إن كانت الفئة الأولى تحظى بنوع من القبول إلا أنها كانت تشغل خاصة عن طريق الضرائب الباهظة التي كانت تفرض عليها و الاستغلال المهين و العيش بأحياء خاصة بها[1].

لقد عمد الملك فيليب بمساعدة أطراف من الكنيسة إلى فرض النظام الجديد و من الأدوات هي تسييس كراهية اليهود خاصة و إلصاق كل المصائب التي تصيب المملكة – من مجاعات، قحط، أو حروب – لقد عرفت هذه الأخيرة في عصر فيليب كل أنـــواع الإهانات بل حـــتى التهجير و الطـــرد و المصادرة لممتلكاتها و الهدم لمعابدها[2].

أما الهراطقة و كل الجماعات المسيحية التي انفصلت عقائديا عن الكنيسة الكاثوليكية فكان مصيرها الحرق أو توجة ضدها حملات عسكرية كما هو الشأن مع الألبجيين – الكتاريين[3].

أما طبقة الفلاحين بمختلف فروعها من مزارعين و أقنان...الخ، فيرى "جون فلورى" أنهم يشكلون حوالي 90 % من مجموع سكان المملكة ما يؤكد على أن المجتمع

[1] REGINE PERNOUD, Lumière du Moyen age , p 72.

[2] MONIQUE BOURIN-DERRUAN, temps d'équilibre , temps de ruptures , T (IV), p 212.

[3] ACHILLE LUCHAIRE, Philippe -Auguste et son temps , p 156-157.

الداخلية

الفرنسي لا يزال ريفي في أغلـــبـــــــــــه و أنه اجتمـــاعيا و اقتصاديا[1] ظلت الزراعة كنمط اجتماعي للعيش هي الغالبية و كأساس اقتصادي كمصادر الثروة رغم الإرهاصات الأولى للانتقال نحو المدنية و حضارة المدن و توسع البرجوازية.

و مهما يكن تصنيف هؤلاء المزارعين إلا أنهم ظلوا تابعي لسلطة السيد الإقطاعي و تحت وقع القضاء الإقطاعي، بإضافة أعمال السخرة التي كانوا مجبرين على القيام بها و ما يقتطعه السيد صاحب الإخاذة من غلال و محاصيل و ما يدفعه هؤلاء من ضرائب عن حق استغلال الأراضي و الغابات.

يرى المؤرخ هنري بيران "أن إقتصاد المدن و الخواطر أفرز الفن القوطي، حيث أن نهوض الاقتصاد المدني رفقة التطور الإبداعي خاصة أسلوب تسيد الكاتدرائيات و الكنائس....".

كما كان عليهم الخدمة العسكرية الإلزامية عند الضرورة و حراسة القلعة الإقطاعية التي هم في أحوازها. إلا أنه تدريجيا تتراجع قيمة العملة مما قلل من دفع هذه الإتاوات و عجل بتضعيف و تدهور المؤسسة الإقطاعية اقتصاديا، اجتماعيا ثم سياسيا حيث يقول المؤرخ قنشوف: " ففي المرحلة التي بدأ تنظيم المؤسسات الإدارية[2] للملكة

---

[1] Jean FIORI, Philippe -Auguste, p 129.

[2] F.L. GANSHOF, Qu'est ce que la Féodalité, p 250-251.

الداخلية

ذات الاستغلال المالي و المداخيل الدائمة. عمد ملوك فرنسا خاصة مع الملك فيليب الثاني و خلفاؤه من بعده إلى تحطيم و تقليص إستغلالية الإقطاعين مما سهل عملية خضوعهم للسلطة الملكية.."

و يجب ذكر أن من بين طبقة الفلاحين كانت فئة لا تملك حتى أجسامها، و عليها القيام بأشغال شاقة أحيانا على حساب سلامتهم الجسدية، و ليس حق تملك أي شيء، في حين وجدت أخرى تمتلك الأرض و ليس عليها دفع أي ضريبة لإقطاعي. و إن كانت أقلية، و يرى المؤرخ جون فيورى أنه: " مع الإزدهار الذي عرفته المملكة خلال الملك فيليب، تحسنت حياة كامل فئات الفلاحين." [1]

عرفت أوروبا الغربية تراجع المجاعات منذ القرن 11م التي كان لها وقع في حياة المجتمع الأوروبي الوسيط من كل الجوانب، و هو ما رافقه رفقة تراجع نسبه الوفيات، و لعل السبب الرئيسي هو تطور التقنيات الزراعية و من خلال استحداث و تطوير أنواع كثيرة من المحاريث، و منها على الخصوص الحراث، القلاب كذلك عمليات تمثين التربة و تحسين نوعيتها من خـــلال تقنية الجمعرة و التكليـــس ، ففي مناطـــق البونـــس و البيكاردي أضحى ذلك شائعا مع مطلع 1170م ، أما أراضي الحوض الباريسي فمنذ سنة

[1] Jean FIORI, Philippe -Auguste, p 129-130.

الداخلية

1210م، مما سمع بزيادة الأرض الصالحـــة للزيـــارة و تحسين نوعية تربتها فكان المردود خاصة في المحاصيل الكبرى و الأعلاف يتضاعف من سنة إلى أخرى حيث يرى فيوري: " أنه مع بداية القرن 12م وصل المردود من كل أنواع القمح و الأعلاف إلى نسبة 4 من 1 ليبلغ نسبة 7 من 1 مع نهاية حكم الملك فيليب 1223م ..." [1]

تطور الحرف و التبادلات التجارية:

إلى جانب التقنيات الزراعية البحتة و المساعدة في دعم الإنتاج و تحسين مردوديته كما ذكرنا سابقا يرى عدد من المؤرخين و من بينهم "قي فوركين" "أن تعميم استعمال الطاحونات المائية و التي كانت معروفة قبل القرن 12م دورا في توفير المؤونة – تحويل الأقماح – و بالتالي وفرة القوت اليومـــي و عدم الانقطاع في تومينه مما كان سببا في النهضة الاقتصادية و زيادة التبادلات التجارية ..." [2] و يرى المؤرخ جون فيوري في "...كون سنة 1200م تاريخ " انتهاء شيوع استعمال الطاحونات المائية أكثر من تلك التي تحركها الرياح، مما ساعد على سرعة و سهولة الأعمال التي كانت أكثر عسرا خاصة طحن الأقماح و يالتالي التزويد بالمؤونة و كذلك الطواحين التي تستعمل في النسيج

[1] Op . cit., p130.
[2] GUY FOURQUIN, Histoire économique de l'occident médiéval , p 232.

الداخلية

الأجواخ التي تعوض أربعين رجل[1]. مما دفع هؤلاء إلى التوجه صوب المدن للبحث عن العمل.

بالموازاة لذلك أخذت المهن و الحرف مجالا في حياة المدن حيث تزامن نموها مع بروز الرابطات الحرفية،لكل مهنة رابطة تسير أحوالها و تدافع عنها كما أنها كانت تستقر بأحياء خاصة بها ليس لسلطة الإقطاعيين المباشرة تأثيرا عليها بحيث كانت تحصل على امتيازات في غالب الأحيان صادرة عن الملك و حتى من كبار الأمراء الإقطاعيين من ذلك منح منازل اليهود الذين تم طردهم و مصادرة بيوتهم إلى صناع الأجواخ في سنة 1889. [2] و منع للجزارين سنة 1182 تثبيت لامتيازاتهم الممنوحة لهم سابقا من طرف الملك لويس السابع. فلهم الحق : "...في بيع مواشيهم مقابل ضريبة سنوية يدفعونها لخزينة الملك و كذلك عند بيع اللحم في قصابتهم...." [3].

و في سنة 1210م، يمنح الملك فيليب يمنح لجماعة الجزارين كامل الاحتكار فيما يخص حرفتهم على كامل أرجاء المملكة .

[1]JEAN FIORI, Philippe -Auguste, p 130.
[2]ACHILLE LUCHAIRE, Philippe -Auguste et son temps , p 135.
[3]Op . cit., p 135.

الداخلية

لقد ذهب صاحب كتاب الحرف، و الذي تم تأليفه في عهد الملك لويس التاسع (1226-1270)، أن منح الامتيازات لأصحاب الحرف من صناع السكاكين، النحاسين، الخبازين، و حتى تجار* الأقمشة النسيجية، و من هذه الإجراءات التحفيزية ما أعذه الملك فيليب لنساجي مدينة "إستمب" في عام 1204 من إعفاءات من ضريبة العوام مقابل ريع سنوي قيمته عشرون ليرة. و سمح لهم بانتخاب أربعة من أكفاء رجال طائفتهم، حتى يقوموا بتسيير أمورهم، و مراقبة مراحل صنع الأجواخ القطنية و النسيجية وجودتها و كذلك ضبط ساعات و أيام العمل .

في الأخير يمكننا القول بأنه و رغم قلة المصادر المكتوبة و الدقيقة حول الموضوع استطاع الملك فيليب أن يوطد للسلطة الملكية أمام سلطة الإقطاع بروحه التنظيمية و حسه.

في مقابل ذلك بدأ دور البرجوازية يتنمى داخل البلاط الملكي حيث أن الملك فيليب استثمار في أمر تبليط شوارع مدينة باريس سنة 1185 مجلسا متكونا من أعيان طبقة البرجوازية كما جاء به المؤرخ آشيل ليتار بل أكثر من ذلك ثم إشراكهم في تسيير الخزينة الملكية إلى جانب الموظفين بالبلاط[1]، كما عمد فيليب إلى إنصاف التجار

* يقول Luchaire بأن وثيقة هذه الامتيازات قد فقدت.

[1] ACHILLE LUCHAIRE, Philippe -Auguste et son temps , p 133.

الداخلية

البرجوازية أمام تسلط الإقطاعيين و تضخيمهم لقيمة الرسوم التي كان التجار يدفعونها و من ذلك : "أنه فرض على كونت بومون تعريفة للحقوق الجبائية التي يسمح له بجبايتها من عند التجار أثناء مرور مراكبهم المحملة بالسلع على نهر الواز..." [1] بل تم منح أكثر من ذلك للتجار عند رسوهم في مرافئ نهر السين حيث تم إعفائهم من أي ضريبة لإقطاعي الذي يتبع له المرفأ بأمر ملكي.

لقد عمل الملك فيليب إلى فتح المجال التجاري للتبادلات خارج مملكته بأن أعطى الحماية للوافدين منهم حتى من الممالك و الإمارات الإقطاعية التي هو في حرب أو في صراع معها، فهو بذلك يكون قد حطم القاعدة السائدة في العرف و القانون الإقطاعي أن أباح أموال و سلع التجار القادمين من خارج المملكة من أخرى هو في حرب معها. بل حتى في حالة السلم كان التجار مطالبين بديون ملوكهم و أمرائهم بل أيضا مواطنيهم المعسوريين[2].

[1] Op . cit., p 134.
[2] Op . cit., p 135.

الداخلية

ففي عام 1885، أثناء حربه مع كونت فلندرا "أصدر إعلانا لتجار هذه الأخيرة أنه باستطاعتهم المجيء إلى معرض كمبيان الذي كان يقام في أيام الصيام ، و أنه يمكنهم الإتجار في زمن الحرب و السلم دون أن يخشوا على مالهم و أنفسهم"[1].

فهو بذلك سابق في منح امتيازات و ضمانات ممن سبقه من ملوك آل كابي.

لقد أضحت السيطرة الفعلية فيها لطبقة التجار و الحرفيين خاصة في ميدان النسيج أين حدثت نهضة تقنية باستحداث آلة النسيج – المنوال – ، مما زاد في ثراء طبقة مدنية جديدة و حديثة النشأة و لقد عرفها جون فيوري بطبقة النبلاء و المدنيين[2]. و التي استطاعت أن تكون ثروة مبنية على التبـــــــــــادل التجـــــــاري و الصناعي.

لقد ازدهرت التجارة في عهد الملك فيليب كنتيجة لما منحه من امتيازات للمدن و برجـــوازيتها و ما عمد إلى سنه من قوانين، و كانت الأسواق و المعارض خير دليل على الحالة العامة للملكة ، ففي شمبانيا مثلا كان يقام معرض مرتين في سنة يتم فيه التبادلات خاصة الأنسجة التي كانت تأتي من مناطق مزدهرة (فلندرة، مدن الشمال، مدن، إيطاليا...الخ) حيث لقد كانت هذه الأخيرة خاصة الشمالية البوتقة التي تطورت فيها التجارة – خاصة البحرية. فنتيجة للمعاملات مع الشرق نشطت المبادلات بين المدن

---

[1] Op . cit., p 135.

[2] Jean FIORI, Philippe -Auguste, p 131.

الداخلية

الإيطالية، و ما جلبه الذهب الذي عرفته مدينة القسطنطينية-1204م حيث قدرت كمية الذهب بخمسة عشر طن من الذهب[1] . مع ذلك ظل التداول النقدي ضعيف في أرجاء مملكة فرنسا.

لقد رافق هذا الاستقرار السياسي و الأمني ازدهـــــار اقتصـــــادي فـــــي المجـــال التجـــــاري و وفرة في المواد الزراعية و المواد الأولية المحركة للنشـــاط الصنـــاعي، كـــما صنعت انتصـــارات الملك فيليب العسكرية و أعظمها على الإطلاق -بوفين- التحام أبناء هذا الإطار الجغرافي حول فكرة الوطن الأم - بخصوصياته، و عززت من انتمائهم له و التضحية في سبيله مما جعل هذا الملك مؤسس لسلطة ملكية بتقاليدها و لدولة فرنسية ذات عمق تاريخي و رصيد حضاري ، بدأت عملية بنائه من إطار ضيق محدود يسمى الحوزة الملكية .

إلى انطلاق عملية توحيد ما عرف بعد ذلك بفرنسا. و جعل الملك فيليب من إنجازاته بداية في صنع الدولة الفرنسية نظاما و شعبا ، و لعله من أكثر ملوك فرنسا دراسة من قبـــل المؤرخـــين الفرنسيين، الأوروبيين، الأمركيين.

[1]Op . cit., p 131.

الفصل الثاني

حروب الملك فيليب أغسطس

الفصـــل الثاني

حروب الملك "فيليب أغسطس"

-جيوش" فيليب أغسطس" تنظيمها و تحصين القلاع.

- حروب وغزوات الملك فيليب اغسطس

- معركة بوفين/ Bouvines .

- مشاركة الملك "فيليب اغسطس" في الحملة الصليبية الثالثة [1189/1191 م].

- علاقة الملك "فيليب أغسطس" بالنورمان في صقلية .

- الملك فيليب أغسطس ودوره في محاربة الهرطقة الألبيجنسية (جنوب فرنسا).

جيوش" فيليب أغسطس" تنظيمها و تحصين القلاع.

عرفت الفترة الممتدة بين 1180م-1220م تطور في التقنيات و الأسلحة الحربية، حيث أضحت دروع الفرسان أكثر وقاية و في بعض الأحيان لا تسمح بحركة سهلة للفارس بل تصل به إلى شلل جزئي في المعارك. و من المواد المكونة لهذه الدروع: الصفائح الحديدية مضاف إليها قطع من الجلود مصنوعة من مواد و أصباغ طبيعية،بحيث أضحت هذه التقنية رائجة و تم التحكم فيها أواسط القرن الثاني عشر[1].

لقد ورد في قصيدة الفيليبيدla Philippide "لغيوم البريتاني" Guillaume le Breton ذكر هذا النوع من الدروع واصفا اياها بما يلي ...دروع سميكة و التي بفضلها فرساننا هم في مأمن أثناء المعارك..." و يسرد وقائع المبارزة التي دارت بين كل من ريتشارد قلب الأسدRichard cœur de lion كونت مدينة "بواتي"Poitier و غيوم دي بار Guillaume des Barresأحد المقربين من الملك فيليب أغسطس ذاكرا "... عند احتدام المبارزة بين الفارسين اخترقت حربة كل منهما درع نده ملامسة أجسامهم، إلا أن

[1]CORVISIER André (dir), Histoire militaire de France, (Tome 3), des origines à 1715, pp 76-77 .

الدروع المدعمة بقطع الحديد و التي عمد كل منهما إلى وضعها على صدره كانت حائلا لهما من أي جروح..[1].

و يقدر المختصون في تاريخ الأسلحة بأن هذا النوع من السراويل الحديدية أضحى شائع الاستعمال بعد 1150م و ابتداء من 1180م ظهرت الخوذة (المغفر) heaume و وجد تجسيد لها على الختم الرسمي للملك ريتشارد قلب الأسد[2]. و مما جاء في جرد قام به موظفو بلاط الملك فيليب أغسطس في عدد من الحاميات أين ت تم حصر مائتين و ثلاثة و ستون خوذة، منها مائة و ثمانية و ثلاثون غير محددة المعالم، و ثمانية و ثمانون مزدوجة التركيب، منها سبعة و ثلاثون بسيطة التركيب ، و أربعة مائة و ثلاثة قبعات حديدية.

استغل الملك الفرنسي الأوضاع الداخلية للملكة انجلترا والمتمثلة في صراع الاخوة حول العرش لينقض على مدن "إيفرو"Evreux و "كونش"Conches ليبادر الملك الإنجليزي الجديد "حنا عديم الأرض" Jean sans terre إلى عقد سلام جديد عرف "بسلام قولي " "traité du Goulet في 22 مايو 1200م، و انتهت هذه المرحلة بأداء الملك" حنا عديم الأرض" تحية الولاء للملك الفرنسي على كامل الإقطاعات التي كانت

[1] DUBY Georges, GUERRIERS et PAYSANS, XII^e et XII^e siècles, p 35.

[2] BROUSSARD Jean., Le gouvernement d'Henri II Plantagenêt, p 67.

لأسلافه بفرنسا بما فيها تلك المتواجدة على الحدود و الحواشي المتاخمة لمملكة فرنسا مقابل عشرة ألاف مارك[1] يدفعها سنويا للملك فيليب أغسطس.

أما المعارك التي تزامنت مع غزو نورمانديا والتي كانت بين 1203-1204م. حشد خلالها "حنا عديم الأرض" قوة إقطاعية تتمثل في : ثماني مائة (800) فارس و ما أمكن تجنيده من صغار الإقطاعيين و من العوام، و كذلك ماقدمته المدن في إطار الخدمة العسكرية و الإجباري أدائها للملك في حالة الحرب، و بالموازاة مع ذلك كانت له وحدات دائمة من الفرسان و من الرقباء و رماة السهام" الغاليين Les Gallois"، و ما أمكن تجنيده من المرتزقة "الفلمنكيين les Flamands"،الجاسكون Les gascons، و حتى من مسلمي الأندلس، بالإضافة لوجود إمكانية الاستنجاد بقوات من إنجلترا[2].

رغم كل هذه القدرات الهامة إلا أن الدفاع عن نورمانديا كان ضعيفا، و في 05 ديسمبر 1203م يغادر الملك "حنا عديم الأرض" إلى إنجلترا تاركا جيشه دون أن يعطي له توجيهات أو يحرضه علـــــــــــــى الـــــــــــــــدفاع و الاستماتة ليستغل ذلك الملك "فيليب أغسطس" و قد كان قد قدر استحالة الهجوم و ما قد يترتب عنه من خسائر مما أفضى به إلى حفر خندقين متوازيين أبعد ما يكون عن الحصن يتسنى لجيشه اتقاء

[1] LOT Ferdinand, L'art militaire et les armées au moyen-âge, PARIS, 2 vol, p 126.

[2] LAVISSE Ernest., Histoire de FRANCE depuis les origines jusqu'à la révolution, Tome 2, p 100

ضربات المنجنيق ، و قام ببناء خمسة عشر قلعة خشبية متحركة و أوكل حراستها إلى الفرسان و الرقباء المشـــاة و في فيفري 1204م جمع الملك الفرنسي قواته فوق التل المقابل للجهة الأقل تحصينا[1].

و تم تنصيب منجنيقات و عرادات catapultes مختلفة الأشكال بدأت قصفها بالموازاة مع الحفر تحت الأسوار، و تم وضع قواعد خشبية تحتها ليتم إشعال النار فيها مما يجعلها تهوى فجأة.

مما دفع بالجيش الانجليزي إلى التراجع خلف الأسوار الثانيـــة للحصن، ليدخلها الجيش الفرنسي فجأة .أما السور الثالث المحيط بالبرج الرئيسي للحصن وقع بسبب الحفر المتزايد تحته ليتم الاستسلام في 06 مارس 1204م. تلا ذلك سقوط مدينة "روانRouen" في 24 جوان من نفس السنة. أما جزر جيرزى Jersey و باقي الجزر النورماندية ضلت تحت السيطرة الإنجليزية لعدم توفر أسطول قوى لدى الملك الفرنسي، أما نورماندیا فقد خضعت له بعد ذلك[2].

أما في إقليم البواتو Poitou كان الأمر أقل سهولة رغم وجود حلفاء للملك الفـــــــــــــرنسي أمثال "غيوم دي روش Guillaume des Roches "و "أيمرى دي

---

[1] PYSIAK Jerzy. « PHILIPPE-AUGUSTE un Roi de la fin des temps ? » annales, 57e année 2002/5, p 1165-1190.

[2] BEAUME Colette, Naissance de la Nation France, p 76.

أغسطس

توارز Aimrey de Thouars و إن كان وفاؤهم نسبي. ففي عام 1204م ينزل الملك" حنا عديم الأرض" بجيشه في مدينة لاروشال La Rochelle البحرية مسترجعا جزءا مما فقد من أراضيه، و في 13 أكتوبر 1206 تم إبرام هدنة لمدة عامين تعهد من خلالها الملك الإنجليزي بعدم المطالبة بأقاليم نورماندية: الماين Maine ، الأنجو L'Anjou، التورين La Tourraine ، و بريتانيا La Bretagne. إبقاء البواتو Le Poitou تحت سلطته و لم يتم إلحاقه بالتاج الفرنسي إلا في عام 1224م خلال حكم الملك لويس الثامن[1].

و يذكر المؤرخ "جيلسبرت دي مونس Gisbert de Mons" أنه في سنة 1187م تقدم كونت هينو Du Hainant "بودوان الخامس Beaudoin V" بمساعدة عسكرية للملك فيليب أغسطس و منها عدد من الفرسان بدروع حسنة الصنع و الأمر نفسه لخيولهم المغطاة بدروع حديدية... باستثناء واحد منهم و الأمر كذلك للرقباء المسلحين كالفرسان[2].

[1]BOURNAZEL Eric., Histoire générale des systèmes politiques, Les Féodalités, pp25-35

[2]BOUTRUCHE Robert., Seigneurie et féodalité. I : Le premier âge des d'homme à homme, Paris 1968 ; II : L'apogée (XI^e-XIII^e siècle), pp 85-87.

و يضيف ذات المصدر حول شيوع الدروع و استعمالها أنه حدث في عام 1189م أن إستولت جيوش" ريتشارد قلب الأسد" على مائتي فارس بكامل عدتها و دروعها بما فيها تلك الخاصة بالخيول.

إن السعي نحو التأمين المتزايد للفرسان و الخيول من خلال الدروع المتنوعة، ليس نتيجة لتنامي استعمال الحديد و التمكن من تقنيات صهره خلال العصور الوسطى أو زيادة تداوله، بل هو كما يرى المؤرخ" كورفيزي Corvisier "... هو لوقاية الفرسان و الجنود بصفة عامة من مخاطر سلاح أضحى مع مرور الوقت أكثر استعمالا..." * . و يذكر" غيوم البريتاني "... في هذه الحقبة – حصار بوفBoves 1185م – لم يكن معروفا في الجيش الفرنسي بسلاح البرقيل، و لم يكن ضمن جيوش الملك" فيليب أغسطس" المحاصرة لحصن" بوف" من الرماة بالبراقيل..." و في نفس القصيدة يذكر "غيوم" بأن الفضل في تعلم الجنود الفرنسيين لهذه الآلة الحربية يعود إلى الملك "ريتشارد قلب الأسد".

و تذكر المصادر أن عددا من الرماة المحترفين في البراقيل كانوا متمركـــــــــــزين في الحاميـــــــــــــات منهم الخيالة و المشاة، خاصة بعد 1200م، و مما جاء حول ما كان يدفع من رواتب .. "ففي 01 من أوت 1203م كانت

---

* آنا كومنينAnne Comnene تذكره في الألكسياد l'Alexiade و تصفه وصفا دقيقا، إلا أنه تراجع إستعماله عند نهاية القرن الحادي عشر بسبب تحريمه من طرف مجمع لاطرانLatran 2، 1139م و حرم إستعماله في الحروب بين المسيحيين.

أغسطس

رواتب إحدى عشر من الفرسان بالبراقيل ثلاثة و ثلاثون فلسا و أما المشاة منهم فأثني و خمسون...". كما يذكر نفس المصدر مآثر الكثير منهم و ما يحظون به من امتيازات منحها لهم الملك "فيليب أغسطس" منها الأراضي[1].

إن الجرد الذي جاء في نفس المصدر حول تعداد هذا السلاح المخزن في الحاميات قدر بحوالي خمسة مئة برقيل مع ذكر للمواد التي صنعت منها (قرون الحيوانات، خشب السرو Cypres، أو طقوسbois d'if.... .

في المرحلة نفسها أضحت الآلات الحربية أكثر استعمالا و فعالية خلال حصار القلاع و الحصون ، كما يذكر "غيوم البريتاني" نوعين منها مجانيق و عرادات[2]. و يذكر لنا الجرد الذي قام به موظفو البلاط المذكور سابقا أن تعدادها بأربعة مائة، و يرى المؤرخ" كورفيزي" بأن لم يتمرس جيش الملك فيليب أغسطس على هذا النوع من الهندسة

[1]CORVISIER André (dir), Histoire militaire de France ,(Tome 3), des origines à 1715, pp 87-88

[2] CONTAMINE Philippe., Histoire militaire de la France, pp 35-40

العسكرية و التي سهلت في مهمة حصار و اقتحام عدد من القلاع التي كانت لـــ : آل بلنتجيني منها "شاتو قيار chateau Gaillard"[1].

ويضيف كونتامين نقلا عن الإخباري "روبار دو أوكسير Robert de Auxerre" : " استطاع الملك فيليب أغسطس أن يستولي على عدد من القلاع والقصور بإقليم البيرى بعد استسلام أصحابه أمام قوة هذه الآلات التي لم تعد تقوى أمامها أي تحصينات ، حيث أضحى في جيشه مختصين في حفر رواقات أرضية تحت الحصون و القلاع مما يجعل قواعدها هشة و آهلة للسقوط في أي لحظة ... و تم ذكر هؤلاء في حصار عكا، و أن الجرد الذي جاء في السجلات الملكية يجعل الراتب اليومي لكل واحد منهم بـــ ثمانية عشر فلسا.." [2].

مما يذكره المؤرخون حول عصر الملك فيليب أغسطس هو السياسة المتبعة من طرف هذا الأخير في تحصين القلاع و الحصون في الحواضر و في الثغور و إن تطلب ذلك مجهودا ماليا، حيث أخذت في الغالب شكلا هندسيا، قائم الزاوية، يتوسطها برج رئيسي، و لقد أثبتت أخر ما بينته الحفريات التي أظهرت النمط المعماري لتلك الفترة من خلال "قصر اللوفر Chateau du Louvre" و نجـــــــــــــــــده في

[1] CORVISIER André (dir), Histoire militaire de France ,(Tome 3), des origines à 1715, p 92.

[2] BROUSSARD Jean., Services féodaux, milices et mercenaires dans les armées, en France, aux X^e et XII^e siècles, pp 125-127.

حصـــــــــــــون مـــــــــــــدن توارThouars، كومبيانCompiegne، و مولانMelun مع وجود خنادق يصل عمقها بين ثمانية و إحدى عشر مترا، وعرضها بيـــن اثني عشـــر و تسعة عشر مترا، و أسوار يتراوح طولها بين ستة و عشرة أمتار، لهاأبواب سميكة على أطرافها برجين صغيرين، منها ما هـــو أحـــادي و أخرى مزدوجة إلى الأمام وعند مدخلها جسور متحركة[1].

هذه الطبقة من المحاربين المحترفين يتكرر ذكرها في العديد من المصادر التاريخية و إن كانت تختلف عن طبقة الفرسان، ففي عام 1187م جند كونت "هينوHainaut" لملك فرنسا مئة و عشرة مـــــــــــــــــــن هـــــــــــؤلاء الفـــــــــــرسان و ثمانون من الرقباء الخيالة بدروعهم، و كامل عدتهم. و في جـــــــــــــــرد لعامي 1202-1203م يذكـــــــــــــــــر فيه مائـــــــــــــــة و أربعة و سبعون من الرقباء الخيالة استأجرهم لخدمته، و يذكر ذات المصدر بأن الجيوش الصليبية دفعت لحكومة البندقية أثناء الذهاب إلى الحملة الصليبية الثالثة ثمن تأجير السفن بحسب عدد المجندين للحملة وجاء ذلك كالتالي: تم دفع أربع ماركات لكل فارس و اثنين مارك لكل رقيب خيال[2].

---

[1] LOT Ferdinand, L'art militaire et les armées au moyen-âge, PARIS, 2 vol, p 45

[2] DUBY Georges., Les sociétés médiévales : une approche d'ensemble , Hommes et structures du moyen-âge, pp 40-42.

كما يذكر "فيلهدوينGeoffroi de Villehardouin " أنه بعد غزو القسطنطينية تم تقسيم الغنائم كما يلي : إثنان من الرقباء المشاة تحصلوا على مقدار ما يتحصل عليه رقيب من الخيالة. و بحسب القاعدة التي كان معمول بها عند جماعة الداوية–Les templiers كان الرقباء من الخيالة الذين لهم مهام و مسؤوليات. الحق في مرافق حامل لسلاحهم ، و كانت لهؤلاء مهام حربية محددة عن غيرهم من المحترفين لمهنة السلاح. ففي معركة بوفيين كان تدخل هؤلاء في مقدمة المعركة قبل النخبة من الفرسان و التي يسند لها مطاردة العدو قصد توتير أعصـــــــــــــاب فرســـــــــــــانهم و زعزعة صفوفهم[1].

و حول أصول هؤلاء الاجتماعية يرى المؤرخ "إدوارد أودوان Edouard Audoin" بأنهم من طبقة النبلاء السفلى لهم نفس الحقوق الإقطاعية كالفرسان النبلاء، في حين يرى المؤرخ "جورج ديبيGeorges Duby" بأنهم من نخبة العوام تسنى لهم امتلاك الخبرة و المهارة الكافية في فنون القتال و الفروسية، معتمدا على ما جاء في قصيدة "غيوم البريتاني ": "... أن هذه الكتائب المكونة من أبناء الشعب..." للبعض منهـم أقطاعاتfiefs صغيرة و يذكر نفس المصدر "رونو دي كورنيو Renaud de

[1] Halphen Louis., La place de la royauté dans le système féodal, A travers l'histoire du Moyen-âge, p 120.

أغسطس

Cournieu" الذى ورد ذكره في السجلات الملكية حيث أغدق عليه الملك فيليب أغسطس سنة 1209م بمنحه أرض، و كذلك روجي دى شفــرو Roger de chevereau من نفس طبقــة المحــاربين منحت له أقطاعات في سنة 1202م[1].

هذه الفئة من المحاربين المغامرين و إن كانت من أصول اجتماعية بسيطة حيث كانت في الأصل مشكلة من قطاع الطرق الذين يتحولون في حالة الحرب إلى نوع من المرتزقة ولائهم لسيد واحد ظرفي بحسب ما تقتضيه مصالحهم[2]. ظهرت في أواسط القــــــــــرن الثـــــــــــاني عشـــــــــر المـيـــــــــــلادي و كانت لهم سمعة سيئة بين ممتهني الجندية حيث لم تكن لهم فضائل كما هي عند طبقة الفرسان و الوفاء ليس من شيا مهم، و إن كانت قدراتهم العسكرية و إقدامهم في المعارك أثر إيجابي، و بذلك استعملهم الملك فيليب أغسطس في 1181م ضد كونت فلاندرة comte de Flandresو ضد كونت سانليس comte Senlis، و كمكافئة لما أبلوه أعطيت لهم 3000 نير من الثيران كما يذكر "رؤول دي ديس Raoul de DIXE" إخباري إنجليزي بينما تتحاشى المصادر الفرنسية التكلم عن هذه الفئة من المنبوذين و الخارجيــن عن القــانون، و عن الدور الذي لعبته في انتصارات فيلب أغسطس، كما يذكر "بونوا دي بيتربورو *Benoît de Peterborough* " أنه في عام 1188 رافقت الملك الفرنسي كانت ترافقه

[1] LOT Ferdinand, L'art militaire et les armées au moyen-âge, PARIS, 2 vol, p 200.

[2] LOT Ferdinand La France, des origines à la guerre de cent ans, p 25.

في غزوة لمدينة بروج فرقة من المغامرين بعدما استولى على "شاتورو Châteauroux "، إلا أنه غدر بهم و نزع ثيابهم و أسلحتهم و سلبهم من كل ما كانوا يملكون[1].و لقد خلدت لنا مصادر ملكية واحد من أشهر هذه الجماعة "وكادوك" أو "لومبير كادوك" و الذي ارتقى في السلم الاجتماعي إلى أن أصبح صاحب قصر و رافق ذلك تضاعف مداخليه حيث بلغت أربعة ألاف و أربع مئة ليرة أنجفية Deniers Angevin ما يعادلها من ليرات باريسية ثلاثة ألاف و مائتان و تسعون و يفترض أن يكون هذا المبلغ الراتب السنوي لمجموع رجاله[2].

كان تكوين الجيوش وتركيبة الوحدات ظرفي ، فالتجنيد كان يقرره طول أو قصر مدة الحملات. كما أن الدفاع عن القصور ، الحصون، المدن و الحواضر من المهام التى يتكفل السكان بها (من مهام لمجالس البلدية الكومونات Les Communes)* و التي

---

[1] LUCHAIRE Achille., Philippe-Auguste et son temps (1137-1226), p 125.

[2] GORBY Ivan, les CAPETIENS (888-1328), pp 50-55.

* ترجمة حرفية لكلمة Commune ، و كان استعمالها في العصور الوسطى للدلالة على المدن الإيطالية- و كذلك الفرنسية- التي استطاعت بفضل ثرائها أن تحصل على براءات(chartes) تخول لها تسيير شؤونها الداخلية و أن تصبح الحكومة بيد غير أرباب الإقطاع من أصحاب التجارة و أصحاب المهن. و اللفظ و ما له من معنى مخالف في العصور الوسطى عنه في العصور الحديثة. من تاريخ أوروبا (العصور

عليها القيام أيضا بمهمة إصلاح الحصون و السهر على سلامتها حتى تقوم بدورها عند الطوارئ[1].

إن تنظيم الجيش لم يكن له هيكل ثابت بل ظرفي فمثلا في معركة بوفيين لم يتسنى للملك فيليب أغسطس حشد سوى حوالي عشرة ألاف محارب من مختلف الأسلحة، عكس ما جمعه الأمير لويس في مقاطعة البواتو حيث كان معه في حملته حوالي ثماني مئة فارس بالإضافة إلى الضعف من الرقبـــــــــــــــاء المشـــاة و الخيالة. إن الإمدادات التي كانت تأتي من المدن من الرجال و الأموال –هناك من هذه المدن التي كانت تدفع الضريبة مقابل الامتناع عن الالتزامات اتجاه الملك أو من المجالس البلدية أو الإكليركية– Cléricale، إن هذه الأموال و التي ترد على خزينة الملك من المدن و المجالس الإكليركية، بكثرة، ساهمت في تلبية ما كان يدفعه إلى هؤلاء المرتزقة من رواتب لطول السنة مما يجعل ولائهم و تأهبهم مضمونا، إن جيش الملك فيليب أغسطس كما يصفه المؤرخ "كورفيزي": "...هو تكتل ظرفي لقـــوات صغـــيرة مستقلة ، و هي بذلك المرآة الحقيقية للهياكل الإقطاعية، سهلة التجميع و في ذات الوقت سهلة التسريح عند نهاية كل

الوسطـــــــــــــــى) ، ل: هـــ.أ.ل.فيشر، ترجمة العريني و آخرون، مأخوذ من صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي، ج 1، ص 199.

[1]CONTAMINE Philippe., Moyen-âge (le roi, l'église, les grands, le peuple), pp 217-225

حملة أو معركة، تأتي لتزيد من تعداد القوات الخاصة بالملك و بطلب منه..." [1]. تبقى منظومة الفرسان المنحدرة اجتماعيا من النبلاء الضامن الأوحد لسلامة المملكة و المؤمنة بما تمثله المؤسسة الملكية من قيام و الأداة الرئيسية في سياسة توسيع حدود المملكة.

و إن كانت الالتزامات العسكرية لا تشمل كل أصحاب الأخاذات –fiefs حيث أنها كانت محـــددة في الزمان و المكان ،كما أن ولاء أحد الفرسان لملكه ليس دائم بل بحسب المصلحة التي تحددها الظروف السياسية مما يجعل الانضمام إلى نحو الطرف المعادي وارد في كل وقت[2].

إن الامتيازات و العطايا التي يغدق الملك على هؤلاء بها, كانت كافية بتحديد مدى ولائهم أو خيانتهم، إلا أن مشاركة الملك بنفسه في هذه الحملات أو المعـــــــــــــارك كـــــــــــــانت تجـــــــــــــبر كبـــــــــــــار الإقطـــاعيين و الفرسان الموالين لهم بالاشتراك بحكم ما تفرضه الالتزامات اتجاه السيد الأكبر و هو الملك، و كان واجب الخدمة يستغرق مدة ليست بطويلة و في معظم الأحيان صيفا أو ربيعا[3].

---

[1]CORVISIER André (dir), Histoire militaire de France ,(Tome 3), des origines à 1715, pp 88-91.

[2]DUBY Georges, GUERRIERS et PAYSANS, XII[e] et XIII[e] siècles, pp 35-40.

[3]DUBY Georges, Les trois ordres, ou l'imaginaire du féodalisme, p 30.

أغسطس

لأجل ذلك سعى الملك فيليب أغسطس إلى تغيير ما كان من عرف و اتفاق ضمني يحدد العلاقة بين الإقطاع و الملكية تم استحداث بعض الأساليب التنظيمية كجرد أعداد الفرسان في السجلات الملكية و الأقاليم التي هم ينحدرون منها، لقد كان من سلاح الفرسان أسماء خلدت اسمها بمآثرها خلال المعارك و الغزوات و من الأساقفة المحاربين، نذكر الأسقف "فيليب دي دروPhilippe de Dreux" أسقف مدينة بوفيي و الذي شهد حصار مدينة عكا، و كان خلال معركة بوفيين في الصفوف الأولى، و كذلك في الحملة ضد الهرطقة الألبجية l'hérésie Cathare، و أيضا محاربين بواسل منهم "غيوم دي بار"[1].

حروب وغزوات الملك فيليب اغسطس:

بين 1194م و 1196م كانت كل من نورمانديا La Normandie و مقاطعة البيري Le BERRY مسرحا للعمليات العسكرية، التي تخللها حصار طويل لعدد من هذه المدن انتهى بالسيطرة على البعض منها دون أن يحسم الأمر في أخرى .

أضحت الأقاليم الممتدة بين نهري السينLa Seine و رافده – الأبت l'epte الحد الطبيعي لإقليم الفيكسين الفرنسي من جهة و جزئه النورماندي من جهة، و نهر

[1]GIORDANENGO G.,Coutume et droit féodal en France (XII[e] – milieu XIV[e] siècle), La coutume (Congrès de Bruxelles, octobre 1984), Bruxelles, 1990, p 219-225 (Recueils de la société J. Bodin, t. 52).

أغسطس

اللوارLa LOIRE و روافده كل من أودية الشيرLe cher و إيندر l'indre مجالا لهذا الصراع. و أضحت المدن و القرى الواقعة إلى الشمال نحو بحر المانش و إلى الغرب نحو إقليم بريتانيا و أخيرا إلى الجنوب منها مدن فوفريىVouvray، فرناي Verneuil غربا، ديبDieppe و قرية آرك لابتايArques la Bataille على ضفاف بحر المانش، و مدينة أيسودانIssoudun جنوبا محل صراع و تجاذب حيث لم تعد تلبث تحت سيطرة طرف حتى تسقط في يد الطرف الآخر بعد مدة قصيرة، إلا أن التفوق النسبي كان للملك الإنجليزي و جيشه و خير دليل على ذلك هزيمة الجيش الفرنسي بقيادة الملك فيليب أغسطس في الثالث من جويلية 1194م بالقرب من غابة فريتفال Fréteval مما أجبره على التخلي عن معظم السجلات الملكية. كما أن ريتشارد أستطاع في هذه المرحلة المحافظة على الروابط المتينة و الدعم الهام الذي كان يلقاه من الأمراء الألمان و الإمبراطور هنري السادس مما زاد من تفوقه المعنوي بالإضافة إلى التفوق الحربي النسبي، كما أن الإمبراطور أضحى يهدد ببسط نفوذه على الضفة الغربية من حوضي الرون Rhône و بالتالي تصبح تحت سيادته و من توابعه[1].

كان لوصول خبر غزو جيوش الموحدين لشمال إسبانيا سببا في تدخل البابا، الأساقفة و الرهبان بين طرفي النزاع " فيليب و ريتشارد" عندما كانت الحرب على وشك الاندلاع، و كان مسرحها هذه المرة مدينة إيسودان في الهضبة الوسطى جنوب نهر

[1] LOT Ferdinand, L'art militaire et les armées au moyen-âge, PARIS, 2 vol, p 222.

اللوار في ديسمبر 1195. و أمام الضغط المتزايد للكنيسة أجبر الملكان على الهدنة و من ثمة إلى إبرام معاهدة إيسودان[1].

و الذي أبقى للملك "فيليب أغسطس" على جزء من ألا راضى التي احتلاها خلال غزواته و هي جيزورGisors، منطقة الفيكسين النورماديVexin normand، نوننكور nonancourt ، باسي سير أورpacy sur eure ، و السيادة على كونتية أوفرنيا comté d'Auvergne، و تم تجريده من مناطق البيري في أكيتانيا l'Aquitaine، إلا أن هذا التقسيم لم يرض الطرفين لكون ذلك فرض من طرف الوسطاء . و في صيف 1196 تجدد الصراع الحربي بين الطرفين، إلا أن خرق الهدنة يبقى مجال جدال بين مؤرخي الحوليات من الطرفين. حيث أن الإنجليز يتهمون الملك الفرنسي "فيليب أغسطس" بأنه أعتدى بدون مبرر على مدينة" أومالAumale " مما أشعل فتيل الحرب من جديد[2].

أما الفرنسيين فيتهمون الملك "ريتشارد قلب الأسد" بتعمده بناء حصن على حدود دوقية نورماندية ، حيث قام بتشييد حصن دفاعي عرف باسم "قاياردGaillard" في مكان إستراتيجي على ارتفاع مئة متر من مجرى نهر السين بالقرب من مدينة" قايون Gaillon. في هذا المكان ينعطف النهر مشكلا طنفا، يمتلك كل الشروط الدفاعية بخنادق

[1] CORVISIER André (dir), Histoire militaire de France, (Tome 3), des origines à 1715, p 217.

[2] DUBY Georges, GUERRIERS et PAYSANS, XII^e et XIII^e siècles, p 284.

أغسطس

طبيعية من كل الجوانب ساعدت في تشييد أسوار ثلاثية ذات سمـــك يوازي خمس أمتار و ببرج رئيسي له محيط يبلغ عشرين مترا بالإضافة إلى مياه النهر، كل هذه الحصون كانت حامية لمدينة "روان Rouanne" مما يجعل أى غزو فرنسي لنورماندية مستحيلا[1].

و حسب رواية المؤرخ "جرار دي كومبيان Gerard de Compiegne " بأن الملك الفرنسي فيليب تمنى لو بنى هذا الحصن من حـــــــــــــــديد و فولاذ ليقينه الراسخ بأنه سيستولي عليه في نهاية المطاف و كامل نورماندية بعده[2].

و خلال سنة 1197م كانت خلافة الإمبراطور الألماني "هنري السادس Henri VI le cruel" المتنازع عليها، فبينما كان أخوه "فيليب الصوابيPhilippe le Souabe" المدعوم من طرف أفراد أسرته و كذلك الملك الفرنسي، حظي غريمه "أوتون دي برنزويكOtto de Brunswick" بدعم الملك الإنجليزي "ريتشارد" و بقي الأمر على حاله إلى غاية جويلية 1198م حيث تم انتخاب "أتون دي برنزويك" إمبراطورا[3].

بالموازاة مع هذا التحرك الدبلوماسي قام الملك الإنجليزي و بتاريخ 15 أفريل 1197م يهاجم مدينة سان فليريsaint valerie من إقليم بيكاردياPicardie على بحر

---

[1]DUBY Georges., Le Moyen-âge, De Hugues Capet à Jeanne d'arc, p 100.

[2] FIORI Jean, Philippe-Auguste, La naissance de l'état monarchique, p 66.

[3] GUILLEMIN Bernard, la papauté et Philippe auguste, in revue d'histoire le l'Eglise de France, année 1980, volume 66, n°177, pp 289-335.

المانشLa Manche، و بعد حرق المدينة و السفن الراسية بمينائها عهد إلى فرض حصار تجاري على كونتيات الهينوcomté du Hainant و فلاندرة La Flandre علما أن لهاتين الأخيرتين علاوات تجارية كانت مصدر ثرائهما مع إنجلترا مما دفع بهم إلى التخلي عن التحالف مع الملك الفرنسي و الوقوف بجانب الملك الإنجليزي[1].

و خلال سنة 1198 توالت النكبات على الملك الفرنسي فبعد تخلي حلفائه عنه كاد أن يردى قتيلا خلال معركة فيرنون Vernon و فقد عددا من قواته حيث يقول المؤرخ الإنجليزي "روجوردي هوفدان Roger de Hoveden " أنه تم أسر ما يقرب عن ثلاثة و أربعون إقطاعي من تابعي الملك الفرنسي و مائة فارس بكامل دروعهم. و يتعرف المؤرخ الفرنسي "ريغور Rigord" بجسامة الهزيمة معتبرا ذلك عقابا ربانيا[2].

كما صادفت هذه النوازل دعوة البابا "إينوست الثالث Innocent III" إلى الحملة الصليبية الرابعة, مواعظ الراهب "فولك دي نويبيFoulques de Neuilly " للعوام " بقرب ظهور المسيح الدجال في بابل و بأن نهاية العالم قريبة..." ذلك ماأجبر الملكين فيليب اغسطس و ريتشارد قلب الأسد على توقيف العمليات العسكرية، إلا أن هذا الأخير

[1] DUBY Georges, Les trois ordres, ou l'imaginaire du féodalisme, p 65.

يرفض السلم النهائي و يقبل بمبدأ هدنة لمدة خمس سنوات بعد وساطة القاصد رسولي الأسقـــف "بياردي كابـــــــــــو Pierre de Capoue " و إحساسه بانحياز البابوية للملك الفرنسي جعله يرفضها مع إلحاح البابوية على لسان مبعوثها على إطلاق سراح أسقف مدينة بوفBeauvais فيليب "دي درو Philippe de Dreux"، و كان جواب الملك الإنجليزي عاتبا عن عدم تدخل البابا لإطلاق سراحه بينما أسيرا في ألمانيا و اليوم يلح في طلب إطلاق سراح هذا الأسقف الذي سبق له الاعتداء على الأراضي التابعة للملك الإنجليزي، رغم أن هذا الأخير أبدى بلاء حسنا في الجهاد المقدس[1]، و ليعلن الملك ريتشارد الحرب مجددا حصاره لقلعة شاليس – شابرول chateau de châlus– chabrol" التابعة لكونت مدينة ليموج Limoges لمعاقبته بعد انضمامه تحت لواء الملك الفرنسي أو كما جاء عند بعض الإخباريون :لإجباره على تسليمه كنز كان عثر عليه أحد الفلاحين في ضواحي ذات القلعة[2].

إلا أن ما حدث لم يكن في الحسبان، فخلال الحصار و في صباح يوم 06 أفريل 1199م يسقط الملك الإنجليزي من فوق جوداه ميتا بعدما أصابه سهم عن عمر ناهز الستة و أربعين سنة ليتم دفنه في كاتدرائية "روان" إلى جانب أبيه الملك "هنري الثاني"، و يدفن قلبه في دير "فونتيفرو L'abbaye de Fontevraud" كان موت الملك ريتشارد

[1]JEAN FIORI, Philippe Auguste , La naissance de l'état monarchique, p 70.

[2] NEMO Philippe, Histoire des idées politiques dans l'Antiquité et au moyen-âge, p672.

عاملا مساعدا للملك الفرنسي للوصول لأهدافه حيث كان الملك الإنجليزي العدو الأول لدولة آل كابيles Capetiens ليبتدئ عصر الملك "حنا عديم الأرض Jean Sans Terre"[1].

و كان هذا الأخير أقل صلابة من أخيه الملك "ريتشارد" و لعلم الملك الفرنسي بشخصيته – حيث كان سابقا حلفه– بنقاط قوته و ضعفه و لانقسام كبار البارونات Les Barons حول خلافة الملك ريتشارد بين مؤيدين له من البواتوLe Poitou و معارضة البارونات من الأنجوL'Anjou و بريتانياLa Bretagne و وقوفهم إلى جانب أخيه "أرثيرARTHUR". و الذي أدى التبعية للملك الفرنسي فيليب أغسطس وعن إقليم بريتانا، مع رفض التنازل عن مقاطعة "الماين Le MAINE" مما عجّل بالقطيعة بينهما و انضمامه إلى أخيه الملك "حنا عديم الأرض".

و لوعي الملك الفرنسي بتزايد المعارضين له خاصة بعد أن عارضت البابوية طرده للأميرة الدانماركية "إنجبورج *Ingeburge* de Danemark " أدى إلى قبوله معاهدة "بيرون" في جانفي 1200م مانحا لكونت "فلاندرة" جزءا من منطقة "الأرتوا L'Artois" كبرهان لحسن نواياه و لعلم الكونت "بودوانBeaudoin" بمزاج الملك الإنجليزي المتقلب و في ماي 1200م و بعد مفاوضات أفضت إلى اتفاق بين الملك الإنجليزي و الملك الفرنسي عرف بمعاهدة "قوليtraité du Goulet"، معترفا بالملك "حنا عديم الأرض"

[1]Op.cit., P 673

كوريث وحيد لأراضي مملكة "أنجو" القارية باستثناء بريتانا مقابل عشرون ألف مارك سنويا تؤدى له كحق مولاة. و عقد قران ولي عهد فرنسا الأمير لويس الثامن مع "بلانش دي كاستيي Blanche de Castille" إبنة أخت الملك الإنجليزي. بعد عشرين سنة من الحرب بين المملكتين،كانت هذه المعاهدة بداية فترة سلام،إلا أن اختطافه ل:"إيزابيل دي أنقوليم Isabelle D'Angoulême" وزواجه منها بعدما اكتسح المارشية La Marche، مما دفع بآل "ليسينيو *Lusignan* La maison de " للتشكي إلى سيدهم الأكبر ألا و هو الملك" فيليب أغسطس"[1].

و رغم استدعائه للملك الإنجليزي إلا أنه رفض المثول أمامه مما أجبر الملك "فيليب أغسطس" على استعمال ما يخوله له القانون الإقطاعي و مصادرة كل يملكه من إقطاعيات بفرنسا، حدث ذلك بتاريخ 22 أفريل 1202م ، و تزامن مع تجدد الحلف الإنجليزي الألماني، بقي بعده مراحل تنفيذ إجراءات المصادرة التي يسمح بها القانون الإقطاعي و ما تلاه من حروب[2].

و مع مطلع شهر جوان 1202م توغل الجيش الفرنسي إلى ما وراء الفكسان الفرنسي إلى نورماندیا وبالموازاة قام "أرتير" كونت بريتانيا و الذي عاد للتحالف مع الملك" فيليب أغسطس "بغزو إقليم الأنجو، إلى أن وقع أسيرا بالقرب من مدينة "ميربوا

[1]BALDWIN John-William, PHILIPPE-AUGUSTE et son gouvernement, p 135.

[2] PETIT-DUTAILLIS Charles et GUINARD P., l'essor des Etats d'occidents, p 238.

أغسطس

Mirebeau " في الفاتح أوت 1202م ليقتل في سجنه بمدينة" روان" في ظروف غامضة. و بتحول عدد كبير من الإقطاعيين إلى جانب الملك الفرنسي بعد اتهام"حنا عديم الأرض" بقتل أخيه توالت الانتصارات العسكرية، و لم يوقف ذلك إلا الحصار الذي دام ستة أشهر لحصن" قايارد" والذي تمكن الملك" فيليب أغسطس" من دخوله في 06 مارس 1204م. بحسب المؤرخ "ريقورد" فإن الملك الفرنسي عمد إلى تمديد الحصار لتجويع المحاصرين بداخله و تحاشى المواجهة العسكرية لإدخار قوته، و كذلك حفاظا على أسوار القلعة التي كان يريد الظفر بها سليمة.

لقد توالت الحملات العسكرية و المناورات المختلفة للملك الفرنسي داخل تراب الكونتيات الفرنسية في المرحلة ما بين 1204م و 1216م. بهدف كسر شوكة بارونات "البواتو"بالأخص، والذين كانوا يسعون إلى الإبقاء على استقلاليتهم، و كذلك في "فلاندرة"، و "شمبانياLa Champagne"و "آرتوا" و غيرها من الكونتيات و الإقطاعات الكبرى ، بالمواجهة العسكرية المدعومة بما يخوله له القانون الإقطاعي من صلاحيات لإعادة تشكيل المؤسسة الإقطاعية بما يخدم الملكية، و مع تنامي الأطماع الفرنسية التوسعية ، عمد الملك "فيليب أغسطس" إلى إنزال حملة عسكرية فوق الأراضي الإنجليزية في توقيت هام ميزه النزاع الذي كان بين الملك "حنا عديم الأرض" و البابا "إينوست الثالث" حول تعيين "إيتيان دي لنقشونÉtienne de Longchamps " أسقفا على مدينة" كونتربوري *Canterbury* " خاصة بعد الحظر الذي صدر من البابا لمملكة إنجلترا سنة 1206م و ما

انجر عنه من عواقب* وتبعه الحرمان في حق الملك "حنا عديم الأرض" في عام 1209م، و معلنا حملة صليبية ضده في 1213م، و قبل ذلك كانت أطماع الملك الفرنسي سببا كافيا في تشكيل حلف بين الملك الإنجليزي "فيران" صاحب" فلاندرة"، و الإمبراطور الألماني "أوتون" و "رونو" صاحب بولوني[1].

لتبدأ الاستعدادات لإنزال الجيوش الفرنسية على السواحل الإنجليزية، و بتاريخ 08 أفريل 1213م، أسند الملك "فيليب أغسطس" للأمير" لويس الثامن Louis VIII" قيادة الحملة ، مع تحديد صلاحيته، منها إلزامية أداء تحية الولاء للملك" فيليب أغسطس" من قبل الإقطاعيين الإنجليز في حالة إنتصار "لويس الثامن" و تتويجه ملكا على إنجلترا،و استشارة الملك" فيليب أغسطس" عند منحه توابعا في انجلترا و التنازل عن المطالبة بأي أقطاعات فوق الأراضي الفرنسية[2].

و من بين التدابير التي عمد إليها الملك الفرنسي إلى التصالح مع زوجته الأميرة "إينجبورج"، حيث يرى بعض المؤرخين أن الهدف من ذلك هو ضمان دعم الأسطول البحري الدانمركي خلال الحملة على انجلترا[3].

---

* لم يعد تقام بعد هذا التاريخ شعائر و لا قداس، بل أغلقت الكنائس و أضحت العبادات و الطقوس لا تمارس في كامل مملكة انجلترا.

[1]JALLUT Marcel., PHILIPPE-AUGUSTE, fondateur de l'unité française , p 90.

[2]LUCHAIRE Achille, Philippe Auguste et son temps, p 151.

[3] FIORI Jean, Philippe- Auguste : la naissance de l'état monarchique, p 83.

و بعد ذلك يأتي القرار المفاجئ للملك الفرنسي و رضوخه للمطالب البابوية، حيث و بتاريخ 13 ماي 1213م، قبل بتعين "إيتيان دي لنقتون" أسقفا على كانتدرائية "كونتربوري" ليصدر يومين بعد ذلك قرار رفع الحرمان الكنسي لتدخل كل من مملكة إنجلترا و أيرلندة ضمن إقطاعات البابوية، و متعهدا بدفع مئة ألف ليرة إنجليزية كهبة سنوية*.

إلا أن تسارع الأحداث لم يمكن الملك الفرنسي من إيقاف الحملة التي تجمعت على كامل الشواطئ الفلامنكية- رغم وعيه بما قد يجره ذلك من عقاب بابوي – كما أن كونت "فلانـــدرة" عـــاد و إنحاز إلى جانب الملك الإنجليزي بعد سوء المعاملة التي تعرض لها من قبل الملك الفرنسي ، إلاّ أنّ الملك "حنا عديم الأرض" استغل الموقف بإرساله وحدات و قطع بحرية لمؤازرة حلفائه، و في يوم 30 ماي 1213م على ضفاف بحيرة" الزوين Le **Zwin**" و بالتحديد عند ميناء "دام **Damme** " بفلانـــدرة إلتقى الطـــرفين و فاجأ المتحالفين الجيش و الأسطول الفرنسي حارقين جزءا كبيرا من سفن الملك" فيليب أغسطس"، وبادر هو أيضا بإحراق ما تبقى من سفن أسطوله حتى لا تقع في يد أعدائه.ليتمّ العدول على مشروع الحملة العسكرية على إنجلترا ،و في ظل هذه المعطيات الجديدة عمد الملك "حنا عديم الأرض" إلى إعادة الكرة بفتح جبهة المعارك فوق الأراضي

* لقد سبق للبابا غريغوريوس السابع المطالبة بذلك عند غزو غليوم الفاتح لإنجلترة..

الفرنسية، خاصة و قد أصبح قويا بدعم من حلفائه مما سهل فتح جبهات عديدة لمحاصرة الملك "فيليب أغسطس"[1].

و تمثلت إستراتيجية المتحالفين في إشغال الملك الفرنسي من الشمال بواسطة كونت "فلاندرة" ، بينما يتسلل الملك "حنا عديم الأرض" من الجنوب و بالتحديد إنطلاقا من إقليم "البواتو"[2].

و في بداية ربيع سنة 1213م، بدأت العمليات الحربية نتج عنها تكبد كلا الطرفين خسائر كبيرة، في العمليات الحربية حيث سعى كل فريق إلى إضعاف الأخر عن طريق النهب و السلب و حرق المدن مما عجل بخراب "فلاندرة" بعدما استمرت الحرب مدة سنة دون أن يكون الحسم لطرف على آخر. و في جوان 1214م أضحت مدن "الأرتوا" و على رأسها مدينة "أيبر *Ypres* " و تزامنا مع ذلك إنزل الملك الإنجليزي في ميناء "لاروشال La Rochelles" يوم 16 فيفيري 1214م لأجـل تجميع أتباعـه من إقطاعيي "البواتو"، "الليموزان Le limousin" و "سانت أونج Saintonge" بعدما تخلى عنه عدد كبير من البارونات الإنجليز، و بعد سيره نحو مدينة "نانت Nante " ثم مدينة "آنجـــــــــي Angers" و أخيرا قلعة "لاروش أوموان La Roche au Moine" الإستراتيجية و بعد علم الملك الفرنسي بسير الأحداث هنالك أوكل لابنه "لويس الثامن"

[1]RIGAUDIERE Alain. : des temps féodaux au temps de l'Etat, p 23.

[2]LUCHAIRE Achille, Philippe Auguste et son temps, p 153.

أنسطس

مهمة تحريرها بعدما جهزه بجيش تعداده حوالي ألف و ثمان مائة فـــــــــــــارس، بالإضافـــــــــــــة إلى المشـــــــــــــاة، و مع قرب الجيش الفرنسي من القلعة أجبّر الملك الإنجليزي إلى الانسحاب لاختلال القوى بين الجيشين، كان ذلك بتاريخ 02 جويلية 1214م لينسحب أمام تقدم الجيش الفرنسي إلى مرفأ مدينة "لاروشال"، مجددا الهجوم بعد تجميعه لكامل وحداته نحو الشمال بتاريخ 27 جويلية 1214م، و إصطدم الطرفين مستخدمين كل ما لديهم من سلاح و رجال و يرى المؤرخ "جون فيوري" في ذلك : "....بأنها محنة بمثابة امتحان رباني أين يكون النصر للفريق الذي حظي بالعناية الإلهية.." [1].

معركة بوفين/ Bouvines :

لم تشهد ساحات المعارك منذ بداية القرن الثاني عشر مثيلا لها* حيث تقدم المتحالفون بقيادة الإمبراطور الألماني "أوتون دي برنسيويكOtton IV de Brunswick "، و من أهم أقطاب الإقطاع نذكر : "بودوين كونت فلاندرةBeaudoin" ، "كونت سالسبيري *comte de Salisbury* "، دوق" البربانduc des Brabans"، بمؤازرة عدد من صفوة النبلاء

[1]FIORI Jean, Philippe- Auguste : la naissance de l'état monarchique, p 85.

* إحتدام الجيوش كان نادرا في تلك الحقبة، حيث كان الملوك و الأمراء الإقطاعيين يتحاشون القتال المباشر لما ينجر عليه من عواقب وخيمة، و لعل لانهزام الملك لويس السادس في معركة بريميل 1119م مما جعل من ملوك فرنسا يرفضون المغامرة.

الألمان، و الدعم القوي للمليشيات التي جندتها المدن الفلامنكية [les villes flamandes] و المرتزقة الذي جندهم الملك "حنا عديم الأرض" و أوكل قيادتهم للكونت "هيجودي بوف Hugo de Boves". في الوقت نفسه كانت جيوش الملك الفرنسي متجهة نحو "ليلLille"[1].

ليلتقي الجمعان عند نهر ماركس أحد روافد "الإيسكو L'Escaut" عند جسر بوفيين إلى الجنوب الشرقي من مدينة ليل، و صادف ذلك يوم الأحد أين كانت الكنيسة الكاثوليكية تمنع القتال فيه لأنه يوم الرب* و رغم اقتراح الكونت "رنو دي دامرتينRenaud de Dammartin " بالتريث إلى الغد لكن "هيغو دي بوف" كان يصّرعلى المواجهة و استغلال اللحظة التي يعبر فيها الجيش الجسر.

أما من جانب الفرنسيين ففي الوقت الذي كان الكونت "فيليب دي كورنتنيPhilippe de Canterbury" يرى بالانسحاب غربا نحو مدينة لنس مبديا لكراهية القتال في يوم الرب و لنفس الرأي كان لدوق "برجندياBourgonnes"، أما الراهب "قيران Guerrin" و الذي أصبح أسقف مدينة "سونليسSenlis" و الذي كانت له مهمة قيادة مؤخرة الجيش، كان يرى وجوب المواجهة لأنه رأى قوات العدو في ترتيب يوحي بتأهب المعركة، منذرا الملك فيليب أغسطس و يقرر الدخول في الحرب مباشرة

[1] GUENEE Bernard, politique, et histoire au Moyen-âge, p177.

* منذ القرن الحادي عشر ميلادي حرمت الكنيسة الكاثوليكية القتال خلال يوم الأحد.

أغسطس

عند منتصف ذلك اليوم بعدما أدى طقوس و شعائر ذلك اليوم المقدس عمد إلى تجميع قادة جيشه و تحت بيرق "القديس دونيز Saint-Denis" يخاطبهم مؤكدا على قدسية الحرب التي يخوضها و أنها امتحان رباني و أنهم حماة الكنيسة الكاثوليكية و جنود البابا ضد المحرومين من رحمة الرب و المبتدعين، لينتهي بمبـــاركة جـــيشه و يقوم بتقسيمه إلى ثلاث فرق و انتهى المشهد بترنيم "غيوم البريتانيGuillaume le Breton" مؤرخ الملك فيليب أغســطس و كاتب سيرته لصلوات من الكتاب المقدس داعيا الرب بالنصر لملك فرنسا و جيشه[1].

و كان تنظيم القوات الفرنسية كما يلي: الميمنة بقيادة الراهب" قيران" و دوق "برجنديا"، أما الميسرة لأسقف "فيليب دي بوفيPhillippe de Beauvais" و الكونت "روباردي دورو Robert III de Dreux " و كلاهما من أقارب الملك ليتولى هو قيادة الجيش محاطا بمقربيه "برتليمي دي روي" ، "غيوم دي قرلوند" ، و "غيـــوم دي بار"[2]. و كانت هذه الفرق الثلاثة مدعومة من طرف المشاة الرقباء التابعة لمجالس المدن متمـــركزة على اليمين و على اليسار. في الوقت نفسه عمد "الراهب قيران" إلى مطاردة فرق الفرسان "الفلامنكيين"، الذين ساهم تدريعهم الجيّد على التقليل من إصابتهم و خسائرهم ، إلا أنّ

[1]GORBY Ivan, les CAPETINS (888-1328), p 512.

[2]Halphen Louis., La place de la royauté dans le système féodal, A travers l'histoire du Moyen-âge, p 129.

أغسطس

"كونت فلاندرة " أصيب بجروح وسط المعركة كانت مقاومة الفرسان الفرنسيين ببسالة أمام فرسان الكونت "رونو" و الإمبراطور "أوتون" الألماني رغم اشتداد القتال و إحتدامه[1].

و في أثناء الإلتحام الكلي للفريقين استطاع المشاة الرقباء من مدن الشمال (أميانسAmiens، آراسArras، و بوفيBeauvais) إختراق الخطوط الفرنسية و وصلوا إلى الملك الفرنسي و بحسب رواية المؤرخ "روجر دي هوفدن *Roger de Hoveden* " فإن الكونت "رونو دي دمارتين" طرح الملك الفرنسي أرضا بحربته إلا أن أحد الفرسان حال دون قتله ، و تلقى هو الضربة القاتلة، و لم ينج الملك "فيليب" إلا بعدما أنجده مجموعة من فرسانه ليقوم "غيوم دي بار Guillaume des barres" بهجوم معاكس رفقة اثنين من فرسانه بالتسلل ليصل إلى الإمبراطور "أتون" طارحا إياه أرضا بحربته إلا أن خوذته أنقذته من الموت و فرسانه الذين همّوا لنجدته و إبعاده إلى مكان آمن ليسقطوا هم في الأسر و يقع السنجاق الإمبراطوري في يد الفرنسيين. أما في الميمنة كما في ميسرة المتحالفين فكانت الخسائر فادحة، كما هرب كل من "دوق البربان"، "دوق ليمبورغ**Henri III de Limbourg** " ، و "هيغو دي بوف"[2]. و بدأت معالم الانتصار الفرنسي ترتسم عن ميسرة جيوش

[1]GORBY Ivan, les CAPETINS (888-1328),, p 517.

[2]LOT Ferdinand La France, des origines à la guerre de cent ans, p 215.

المتحالفين رغم إستمرار كونت فلاندرة "رنو" في المقاومة إلى غاية إصابة فرسه ليسقط أسيرا في يد أعدائه بعد استسلامه هو و"كونت سالسبوري"، ليوقف الملك مطاردة الفارين لتعلن الأبواق انتصار مملكة فرنسا على المملكة الأنجلو- نورماندية و بداية عصر جديد أساسه تكريس سلطة الملكية، وكانت خاتمة هذا الصراع هدنة لخمس سنوات مثبتا ما تحصل عليه الملك الفرنسي من غزواته في شمال نهر "اللوارLa Loire"، وتركت للبارونات من إقليم البواتو حق إختيار السيد الذي يتبعون له، كما أضحى على الملك الإنجليزي دفع ستون ألف ليرة سنويا[1].

مشاركة الملك "فيليب اغسطس" في الحملة الصليبية الثالثة [1189/1191 م]

انطلقت الحملة الصليبية في 04 جويلية بعد أن تأخرت بأشهر لأسباب عدة منها وفاة زوجة الملك فيليب "إيليزابيت دي هينوElisabeth de Hainaut" وملك صقلية غيوم الطيب و هو في الوقت نفسه صـــهر الملك ريتشـــارد و كان يعول عليه من جانب الدعم المادي و قد التقى الملك الفرنسي و الملك الإنجليزي في الثلاثون من ديسمبر 1189 و في الثالث عشر جانفي 1190م لتجديد السلام بينهما و قاما يأخذان كل التدابير حتى

[1] MOLLAT M., Genèse médiévale de la France moderne, p 172 .

يحترم السلام بين المملكتين خلال غيابهما. و نذر كلاهما بالذهاب إلى الجهاد المقدس معا لنصرة و تخليص البيت المقدس و تعهدا بالوفاء لبعضهما البعض[1].

غير أنّ الخلافات بدأت تظهر و تطفو قبل الوصول إلى صقلية بحيث وصلت الجيوش الفرنسية إلى ميناء مدينة" مسينا" في السادس عشر سبتمبر 1190 م، و لم تلتحق القوات الإنجليـــزية إلاّ في الواحـــد و العشرين من نفس الشهر. مما اضطّر الملكين إلى المكوث هنالك مع قرب الشتاء و صعوبة اجتياز البحر نحو الشرق، و حتى يستكمل تجميع كل القوات الصليبية [2].

إلاّ أن مكوث الملكين بجزيرة صقلية عرف وقائع كان لها أثر في تحديد مسار ما سيأتي من أحداث في الشرق، و من ذلك اصطدام أفراد من الجيش الإنجليزي مع سكان مدينة "مسينMessine" مما استوجب تدخل الملك الفرنسي لفض الصراع و إحداث السلم إلاّ أنّ قضية المهر المؤجل لأخت الملك "ريتشارد "من زوجها المتوفي "غيوم الطيبGuillaume le Bon" كانت من الأمور التي ضلّت عالقة و لم يتم حلها مما زاد من شدة الصراع بين الملك الإنجليزي و ملك صقلية الجديد" تنكراTancrède Lecce"[3].

---

[1] محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ، ص 152-153.

[2] ستيفن رسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ص 77 -105 .

[3] محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ، ص 180.

أغسطس

و في الوقت نفسه عادت قضية زواج الملك "ريتشارد" بأخت الملك" فيليب أغسطس" الأميرة "آليسAlix" لتعكر الجو بينهما خاصة بعدما اتخذ ريتشارد خطيبة جديدة في شخص الأميرة "بيرونجيرBérangère" من مملكة نافرة[1]. و كتعويض عن عدم وفاء الملك بالتزاماته نحو الأميرة الفرنسية تم توقيع معاهدة "مسين" في مارس 1191م و أجبر على المصادقة على ما جاء فيها كما تقول مصادر إنجليزية، متهمة الملك الفرنسي بتحيزه لملك صقلية و مما جاء في هذه الاتفاقية : تعهدالملك " ريتشارد قلب الأسد" بدفع عشرة آلاف مارك لفيليب و إرجاع أليس و مهرها بعد عودته من الشرق، بالإضافة إلى ذلك مدينة جيزورGisors بنورماندية، و في المقابل له الحرية في الزواج بمن يشاء، و يجب الإشارة هنا إلى الأحداث التي جرت أثناء تواجد الملكان و جيوشهما في صقلية، و بالأخص علاقة" فيليب أغسطس" بالنورمانLes Normands و ملكهم "تنكراد" فيما يلي .

علاقة الملك "فيليب أغسطس" بالنورمان في صقلية:

[1] عاشور سعيد عبد الفتاح، تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى، ص 35.

أغسطس

غادر الملك الفرنسي مدينة" جنوة Genès" الإيطالية متجها نحو جزيرة صقلية بحرا في نهاية شهر أوت 1190 ليصل إلى مرفأ مدينة مسينا بذات الجزيرة في 14 من سبتمبر ليدخل المدينة كما ذكر المؤرخ رينسمان*Steven Runciman*" [1]،... و اتخذ طريقه إلى داخل المدينة، بعد أن حرص على ألاّ يشعر به أحد..." إلا أنّه و بأوامر من" تنكراد" ملك صقلية الجديد أجريت مراسيم الاستقبال للملك الفرنسي لاحقا و أعد له القصر الملكي بالمدينة. و يجب الإشارة إلى أن دخول الملك الإنجليزي للمدينة كان معاكسا لرفيقه في التحالف الصليبي الملك" فيليب" الفرنسي، و يذكر" رينسمان"[2] ما يلي : "... و ما اقترن به دخوله إلى "ماسينا" من الأبهة الفائقة ، يعتبر نقيضا حادا لما اتصف به وصول الملك" فيليب أغسطس" من البساطة،بداعي الحرص على عدم شعور أي كان بدخوله المدينة...".

و يرجح المؤرخ الفرنسي "ليشارLuchaire" ذلك إلى اختلاف طبع كل واحد منها: ".... فبينما كان الملك" ريتشارد" إندفاعيا و شديد الإنفعال ،اتّسم الملك " فيليب أغسطس" بطبعه الهادئ والحكمة في معالجته للأمور، مما يدل على خصال رجل دولة..." [3].

---

[1] chalandon , domination Normande en Italie, II , pp :419-424.

[2] ستيفن رينسمان:، تاريخ الحروب الصليبية، ص 71-72.

[3] المرجع السابق، ص 71.

و لعل من الأسباب التي كانت توتر الملك الإنجليزي قضية أخته الملكة" جوانا Jeanne d'Angleterre"أرملة الملك النورماندي "وليام الثاني William II de Sicile" و ماتعرضت له من إهانة و سوءالمعاملة من طرف الملك الجديد "تانكرد" و جعلها تحت الإقامة الجبرية و تجريدها مما خصها بها زوجها المتوفي ضف إلى ذلك إن الملك المتوفي خلف لصهره[1] "هنري الثاني بلنتجيني "هبة كبيرة[2]، مما ذكره مؤرخون ولم يتفقوا على ما شملته من أثاث و نفائس تم جردها. يذكر المؤرخ الفرنسي غيوم البريتاني تركة الملك "غيوم الطيب" لزوجته" جوانا "الإنجليزية كونتية في جزيـــــــــــــرة صقلية و الأراضي التابعة لها بالإضافة إلى أثاث ذهبي من بينهم طاولة بكراسيها الذهبية و خيمة نسجت بخيوط الحرير يمكنها إحتواء مائتي فارس، و أربعة و عشـــــــــــــــرون كوب فضي، و مـــــــــــــــا تم تقديره من قمـــــــــــــــح و حنطـــــــــــــة و شعير بستون مقياس تكفي لسنتين... بالإضافة إلى غرائر متعددة الأحجام مملوءة بالمؤن.. أبى الملك" تانكرد" تسليمها لصاحبة الإرث..." مما زاد توتر "ريتشارد" و أمر جنوده بغزو مدينة" مسينا" رغم تواجد الملك الفرنسي فيها ،و أثناء قيام الملك النورماندي الجديد بواجب الضيافة نحو ضيفه الفرنسي و

[1] محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ، ص 196.

[2] Achille luchaire, PHILLIPE Auguste et son temps , pp 145-148.

أنسطس

يذكر "....." : "أن فيليب عمد و من كان معه من الأمراء الصليبيين إلى إحلال السلم بين الطرفين و رفض السماح للملك "رتشارد" أن يرفع راياته فوق أصوار مدينة "مسينا" حتى تعتبر بذلك أنها أصبحت تحت سيطرة الانجليز،وبتالي يكون سببا أخر في خلافات جديدة بين جموع الصليبين ، و لا يخدم الهدف الأول لهذا التجمع العسكري الأوروبي، القاصد تحرير الأراضي المقدسة في الشرق و يضّعف وحدة المتحالفين الصليبيين مما جعل إجبارية تدخل الملك الفرنسي لفض النزاع بين الملكين و قبل ذلك يجب الإشارة إلى ما ذكره المؤرخ "رينسمان" حول الأسباب الغير مباشرة التي مهدت لاشتعال القتال بين الإنجليز و الصقليين حيث ذكر فيما يلي: "... انزعج تانكرد من هذه المطالب،والتي سبقها ما بلغه من أنباء عن سلوك الملك "ريتشارد" في "كلابريا La Calabre".....فبعد نزول الملك "ريتشارد" في أحد القصور الملكية ... وبعد ذلك هاجم جزيرة قبالة مدينة "مسينا" مباشرة ، و كان فيها دير لليونانيين، فأمر باستخدام العنف و الأساليب الوحشية و طرد الرهبان من الدير، كي يحل مكانهم عساكره. وما تعرض له هؤلاء الرهبان من معاملة قاسية روعت سكان مسينا، الذين كانوا في غالبيتهم يونانيين. ... و ازداد سخط أعيان المدينة من تجاوزات جنود الجيش الإنجليزي و معاكساتهم لأزواجهم وبناتهم .. و ما وقع في ضواحي المدينة من شجار بتاريخ الثالث أكتوبر

أغسطس

1190م بين جماعة من العساكر الإنجليزية و مجموعة من الأهالي.. كان سببا في انتشار مظاهر الفوضى في المدينة و مما زاد في توتر الأوضاع؛شائعة مفادها:أن الملك" ريتشارد" ينوى غزو جزيرة صقلية..." [1] و ما زاد من غضب الملك" ريتشارد" إقدام عدد من أهالي الجزيرة الذين تجمعوا خارج إقامة الملك الفرنسي على شتمه أثناء الإجتماع الذي دعا إليه الملك "فيليب أغسطس" مع كل من كبير أساقفة مسينا[2]، و "مرجريتوس" أمير البحر و نخبة من الأعيان في صقلية من جهة و الملك الإنجليزي من جهة أخرى حيث يذكر "رنسمان": ... و تبين لرتشارد كأن ذلك عمل مقصود ، إذ سمع بعض من أهالي الذين تجتمعوا على تل غير بعيد عن القصر شاتمين إيه ، مما زاد فى غضبه و يغادر الاجتماع أمرا عساكره بأن يهاجموا المدينةمن جديد. و في هذه المرة ...استولى الإنجليز على "مسينا"، و نهبوا كل أحيائها باستثناء الشوارع القريبة من القصر الذي حل فيه الملك "فيليب أغسطس" .." مما زاد من قلق الملك الفرنسي، و لمعرفته بطبع منافسه الحاد و المتغير، بعث بابن عمه دوق برجنديا لتحذير الملك" تانكرد" من ما قد يقدم عليه الملك الانجليزي من أعمال انتقامية ضد

[1] رينسمان ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ص 82-83

[2] المرجع السابق، ص 85.

مملكـــــــــة صقلية ورعاياها[1]، و ليعرض عليه المساعدة و المؤازرة في حال تأزم الأوضاع سوءا خاصة و أن الإمبراطور الجرماني الجديد "هنري السادس هوهنشتوفان - *Henri VI Hohenstaufen* " و الذي لا يطالب بعرش صقلية بحكم القرابة و المصاهرة مع الملك المتوفي "غيوم الثانى **Guillaume II de Sicile**".

حيث سبق أن لعبت البابوية دورا في تولي" كونت ليشي تانكرد" عرش مملكة صقلية بعد المؤامرة الصغيرة التي ساندها البابا" كليمنت الثالث *Clément III*"الذي كان منزعجا من إمكانية وصول كل من الأميرة "كونستانس Constance de Hauteville"و "هنري السادس" لعرش صقلية[2].

فى الوقت ذاته كان الإمبراطور الجرماني يستعد في هذه الأثناء لإغارة على مملكة صقلية علما أن الملك "تانكرد" يعي جيدا أن الخطر الداهم هو الملك "ريتشارد" و ليس الإمبراطور الألماني، و كذلك ملك فرنسا ليـــــــــــــــس مأمـــــــــــــــون الجـــــــــــــانب ضف الى ذلك الروابط الودية التى كانت بين ملوك فرنسا بأباطرة أسرة الهوهنشـــــــــتوفن ، و الكراهية المتجدرة بين الملك "ريتشارد" و هؤلاء.

---

[1] عماد الدين غانم، تاريخ الحروب الصليبية، ص 204-205.

[2] ستيفن رينسمان ، تاريخ الحروب الصليبية، ص 80.

أغسطس

مما دفعه إلى التعجيل ببدء المفاوضات مع الملك الإنجليزي متقدما تمثل فى عشرين ألف أوقية من الذهب كبديل عن الهبة المستحقة لولده الملك المتوفي "هنري الثاني بلنتجيني" و كتعويض لمعاش أخته ألاميرة "جوانا" ذلك ما جعل غضب الملك "رتشارد" يتلاشى ، و سهل الصلح و زاد من متانة الإتفاق خطبة ولي عهده "آرثر"دوق بريتانيا مع إحدى بنات الملك "تانكرد"، و عرف كيف يقنع الملك "ريتشارد" بعدما أخبره بالاقتراحات التي تقدم بها الملك "فيليب أغسطس" لصد الهجوم الانجليزي، مما قلل من صلابة موقفه و قبوله بضامن البابا للمعاهدة وعمله بنصيحة كبيرة أساقفة مدينة "روان" بإرجاع كل ما سلبه من جزيرة صقلية لأصحابها ، و استرداد أمير البحر الصقلي مرجريتوس للأسطول الذي صادر الملك الإنجليزي معظم قطعه البحرية و معداتها.

بعد تصفية المشكل الذي كان بين الملك"رتشارد"و " تانكراد ملك "صقلية ، أصبح من الواجب التفرغ للحملة الصليبية و التحضير لها ، بعد إمضاء معاهدة الصلح بين الإنجليز و مملكة صقلية ، إلا أن أحوال الطقس لم تسمح بذلك ،بفعل استمرار عاصفة هوجاء لم تسمح بإبحار الملكيين إلى الشرق، بل رأى أنه من الحكمة إمضاء الشتاء هنالك و تأجيل سفرهم إلى الربيع.أثناء احتفالات عيد الميلاد ،أقاما الملك الانجليزي مؤدبة ، دعا إليها الملك الفرنسي و عدد من أعيان جزيرة صقلية ، حدث ذلك بعد أيام من اللقاء

الذي جرى بين الملك الإنجليزي و رئيس طائفة الرهبان الفيوريني"**Joachim de Flore** "* الذي فسر له معنى رؤياه و تنبأ له بالنصر في الشرق[1] حيث المؤرخ رينسمان ما يلي : "... فشرح له القديس المبجل معنى منامه و رؤيا القديس يوحنا ، مفسرا أن الرؤوس السبعة للوحوش ليست سوى هيرود، و نيرون، و قسطنطينيوس، و محمد، و المسلمون (الذي يقصد به فيما يبدو عبد المؤمن، مؤسس مذهب–دولة– الموحدين)...." ، إلا أن الملك ريتشارد فاجأ الجميع برده بأن المسيح الدجال الذي ذكره" يواخيم كوروزوJoachim Corazzo" الذي قربت ولادته في روما هو البابا كليمنت الثالث ، الذي كان يكن له الكراهية. كما نذكر الحادثة التي كانت بين الملك الإنجليزي و أحد الفرسان الفرنسيين "غيوم دي باريGuillaume des Barres" أثناء مبارزة مطاعنة على الخيول ؛ يذكر "آشيل ليشار Achille Luchaire" بأن هذا الأخير تغلب عليه و أسقطه أرضا من فوق فرسه ، مما زاد في غضب الملك الإنجليزي ،و أمر بطرده من الجزيرة إلاّ أن الملك الفرنسي[2] تدخل لفض الخـــــــــــــلاف بينهما، و ذهب متوسلا عند الملك" لرتشارد". و تعتبر هذه الحادثة دليل أخر، على اختلاف شخصية كل من الملك الفرنسي

* يواخيم كوروزو(فيوري)**Joachim de Flore** : المعروف بالنبي رئيس الدير الذي أسسه بإقليم كلابريا.

[1] عماد الدين غانم، تاريخ الحروب الصليبية ، ص 134–136.

[2] Achille luchaire, PHILLIPE Auguste, pp 64.

ذي بال الطـــــــــــــويل صاحب القدرة على إخفاء[1] غضبه في معظم الحالات ،عكس الملك " ريتشارد" ذو الطبع الحاد المزاجي و المتهور.

إلا أن أهم ما ميز مكوث الحملة في جزيرة صقلية خلال شتاء 1191 التحضيرات للحملة المقبلة ، حيث يذكر رينسمان[2] ما يلي : ".... فتقرر وضع قواعد لضبط أثمان المؤن، و التزام الرجال بخدمة سادتهم و تخصيص نصف أموال الفارس لسد حاجات المحاربين الصليبيين ، و تحريم لعب القمار، إلا على الفرسان و رجال الدين، فإذا أسرفوا وجب إنزال أشد العقوبات بهم، و لا بد من احترام الديون التي انعقدت من أجل الحج. و أقر رجال الدين اللوائح، و وعدوا بطرد المخالفين لها من الكنيسة الكاثوليكية[3] ." كما اتفق الجميع على الاقتسام بالتساوي للفتوح المقبلة، رغم بقاء الأمور عالقة لم يتم الفصل فيها و أهمها : عدم إتمام مراسيم زواج الملك" ريتشارد" من الأميرة الفرنسية "أليكس" أخت الملك الفرنسي، بسبب طعنه في شرفها و اعتراض أمه الملكة "إليانورAliénor "عن إرتبط ابنها المحبوب بأمـــــيرة من أســـــــــــــــرة تكـــــــــــــــرهها و تبغضها، مما

---

[1] Achille luchaire, la question d'orient, (la troisieme croisade), pp281-282.

[2] ستيفن رنسمان، تاريخ الحروب الصليبية ، ص 86.

[3] المرجع السابق، ص 86.

أغسطس

زاد من فتور العلاقة بين الملكين إلا أنه و بصفة غير معلنة تم تأجيل البث في ما بقي عالقا من الخلافات إلى حين الانتهاء من الحملة الصليبية. و رغم إتهام مصادر إنجليزية من ذات الفترة للملك الفرنسي كما يذكر "آشيل ليشار" بأن : " الملك "فيليب أغسطس" خطط مع الصقليين لتحطيم الجيوش الإنجليزية إلا أن الملكان أبرما معاهدة سلم ،في شهر مارس 1191 بمدينة "مسينا"، و من بين ما جاء فيها: تقديم الملك الإنجليزي مبلغ عشرة ألاف مارك للملك الفرنسي و تعهده بتسليمه مدينة جيزور بعد عودته لأميرة" أليكس"مضيفا إلى ذلك مهرها كاملا .

كما قام لاحقا بمنح الملك الفرنسي عدة سفن كانت قد وصلت من إنجلترا، لتكون نهاية المرحلة الصقلية من الحملة الصليبية الثالثة، بإبحار الملك الفرنسي في مارس 1191م نحو المشرق ،ثم تبعه الملك الإنجليزي في أفريل من نفس السنة بعدما عرج على جزيرة قبرص التي أضحت تحت حكمه بعدما أشار عليه قادته بوجوب جعلها نقطة تمويل بالسلاح و المؤونة و قاعدة خلفية لتأمين ا لعمليات الحربية في البلاد السورية[1].

انتهت بذلك مرحلة ابتدائية مهدت للصراع بين الدولتين و الملكين في بلاد الشرق الإسلامي بنقلهم خلافاتهم من ميادين المعارك في نورماندية و البواتو بفرنسا، إلى

[1]Jean fiori, PHILIPPE-AUGUSTE, la naissance de l’Etat monarchique.

أغسطس

حصار "عكا" بفلسطين[1] و ظلت المناوشات بينهما تزداد شدة و تفتر أحيان أخـــــرى ، بالدسائـــــــــس الهـــــــــــادفة لتحطـــــــــيم كل طـــــــــــــــرف للآخـــــــــــر، و حسم الخلاف الحدودي بينهما و إن تم تأجيله إلى حين العودة من الشرق و ما تعرض له الملك الإنجليزي في رحلة العودة، عمد الملك الفرنسي بهذه الدسائس إلى التخلص من عـــــــــــدوه بذلك،وانتهت بسلسة من المعارك أهمها معركة بوفين 1214 م و التى تغتبر بداية نهاية هذا الصراع، و حدث تاريخي مؤسس لدولة فرنسا بحدودها الحالية.و للحد من طموح "آل بلنتجيني" في امتلاك إمبراطورية واسعة على قارة أوروبا و بفرنسا على الخصوص[2].

و في الثلاثون من شهر مارس 1191م أقلع الملك" فيليب أغسطس" نحو عكا ليصل هنالك في عشرون أفريل 1191م، ليلحق به الملك" ريتشارد" شهرا بعد ذلك[3].

كانت مدينة "عكا" بالساحل الفلسطيني ، تحت الحصار الصليبي منذ أكثر من عامين، يدافع عنها خيرة الجيوش الإسلامية، يتخلل ذلك الغارات التي كان يقوم بها الملك "صلاح الدين الأيوبي" ،على القوات المحاصرة ،و يعترف عدد من المؤرخين ممن شرك

---

[1] هـــ ال.فشر، تاريخ أوروبا، العصور الوسطى، ص 50.

[2] سعيد عبد الفتاح ، تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى، ص 30.

[3] GUIZOT FRANCOIS, vie de PHILIPPE-AUGUSTE, de Guillaume le Breton dans collection du mémoire relatif a l'histoire de France, p 185.

أغسطس

في الحملة بمعانة الفريقين؛ حيث كان المسلمون يموتون عطشا ؛ و في الوقت نفسه كان الصليبيون يموتون جوعا، إلا أن كلا الطرفين كان صامدا ، مع ذلك كان عدد القادمين من الغرب لا ينقطع، مع تزايد عدد الوفيات بينهم، كما أن الطليـــعة و النخبة من جيوش الصليبيين و المتمثلة في الوحدات التي كانت سبقت إلى بلاد الأناضول تحت إمرة الإمبراطور الألماني" فريدريك باربا روس*Frédéric Barberousse* " وكل من كونت فلاندرة، و "فيليب كـــونت الألزاسPhilippe D'Alsace"، و" هنري الثاني كونت شمبانيا *Henri*II de *Champagne*" ، و أسقف مدينة درو "فيليب**Philippe de** Dreux"[1].

و يرى آشيل ليشار بأن مقاومة المسلمين كانت بسبب تفرق القادة الصليبيين و سعي كل واحد منهم إلى تغليب مصالحه و طموحاته في الحصول على عرش في المشرق، و عدم وصول النجدة لهؤلاء المحاصرين وراء أسوار مدينة عكا، حيث انحاز الملك" فيليب أغسطس" إلى" كونراد دى مونفرات **Conrad de Montferrat** " صـــاحب إمـــارة صور السعي للظفر بمملكة بيت المقدس من غريمه "غي دى ليسنيون *Guy de Lusignan*" الحاصل على تأكيد الملك "ريتشارد"، إلا أن الملكان اقتنعا بوجوب حصول اتفاق بين الجميع ،حتى يتم النصر مع طول الحصـــار أمام أســـوار عكا، و من ثم تم

[1] GORBY Ivan, les CAPETIENS (888-1328), p 96

صنع آلات جديدة لضرب هذه الأسوار و تنظيمها إلى سرايا، و تقسيم العـمال إلى زمـر و مهمتها حفر أروقة تحتها[1].

رغم التفاهم الحاصل بين قادة جيوش الصليبيين إلا أنه لم يحدث تقدم محسوس ساحة المعارك، بل استطاع المسلمون حرق مراكب أعدائهم كما فقد الملك الفرنسي عدد من خيرة قادته [2]. و مما زاد من صعوبة المهمة إصابة الملكـــــــــــــــين بمـــــــــــــــرض جلـــــــــــــــدي و بتساقط الشعر، و لم يتعافى الملك" فيليب أغسطس" كلية، بينما شفى الملك "ريتشارد" فى وقت أسرع.

إلا أن تفوق الملك الإنجليزي على نظيره الفرنسي، زاد من غيرة هذا الأخير خاصة أن الأول عرف بشجاعته في ميدان الوغى، و ما تركته مآثره الحربية في نفوس المسلمين.

[1] ستيفن رسيمان، تاريخ الحروب الصليبية نقله إلى العربية الدكتور السيد الباز العريني، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، 1969

[2] LUCHAIRE Achille., Philippe-Auguste et son temps (1137-1226), p 123.

و في 13 جويلية 1191م استسلم المحاصرون في مدينة عكا، إلا أن سقوط بيت المقدس كان بعيد المنال، و في هذا التوقيت أعلن الملك الفرنسي عزمه بالعودة إلى مملكته بحجة المرض الذي أنهكه ، و لا يريد الموت بعيدا عن وطنه[1].

إلا أن لوفاة كونت فلندرة أمام أسوار عكا قد يكون هو السبب الحقيقي، خاصة و أن خلافته كانت أمرا يجب التكفل به بصفة جدية في الوقت الذي كان كل خصومه خارج الساحة الأوروبية، و في الثاني و العشرين من شهر جويلية 1191م يغادر فلسطين عائدا إلى فرنسا بعد أن ترك جزءا من جيشه هناك؛ تمثل في عشرة ألاف فارس تحت قيادة دوق برجنديا، قبل مغادرة الملك "فيليب أغسطس" قام الملك الإنجليزي بتحليفه على الإنجيل بأنه لن يغدره في غيابه.

و سيكون المدافع عن كامل ممتلكات إمبراطورية "أنجو- نورماندية" فوق التراب الفرنسي، إلا أن الملك ريتشارد احتاط أكثر من خلال بعثه بأمر مكتوب للصيرفي الذي كان قد أودع عنده أموالا بمدينة "بيزة Pise" الإيطالية بدفع مبالغ هامة إلى مجموعة من

[1] المرجع السابق، ص 123-124.

أغسطس

المرتزقة كان قد عقد اتفاقا سريا معهم حتى يقوموا بالدفاع عن أقاليم التابعة لمملكته في فرنسا[1].

كانت الحملة الصليبية الثالثة، فصلا من فصول الصراع المتعدد الأوجه بين الملك الفرنسي "فيليب أغسطس" و ملوك آل بلنتجيني الثلاثة الذين عاصرهم : الأب "هنري الثاني" ، الأبناء "ريتشارد قلب الأســـــــــــــــــد" و "حنا عديم الأرض" و بعد وفاة الأب بقي الأبناء خاصة الملك "ريتشارد" و الذي بقى في المشرق، و مما ساعد الملك الفرنسي إلى إيجاد اتفاق ضمني مع الإمبراطور الألماني لكون الملك" ريتشارد" عدوا مشتركا، و من بين الأساليب التي عمد إليها الملك الفرنسي هي الدعاية، حيث و نشر بين مقربيه أخبار شنيعة حول شخص الملك الإنجليزي ذهبت إلى حد اتهامه بالتآمر ضد المسيحيين مع الملك" صلاح الدين الأيوبي" و كان مقتل "كونراد دي مونفرات" بمثابة حجة كافية لاتهام الملك" ريتشارد" بقتله، و بأنه هو من دفع المال لرجال شيخ الجبل (الحشاشون) لقيام بذلك، واكثر من ذلك وروج بأنه دفع لهم أموالا لقتل الملك" فيليب أغسطس" بباريس[2].

---

[1]Halphen Louis., La place de la royauté dans le système féodal, A travers l'histoire du Moyen-âge, p 145.

[2]DELABORDE HENRI FRANCOIS, œuvres de RIGORD et de Guillaume le BRETON, éd H-F DELABORDE, 2 t, p 88.

أغسطس

و يذكر الراهب ريقور بأن "الملك فيليب أغسطس احتاط لنفسه حيث عمد إلى الاحتراز من عدوه ، وأوكل حراسته إلى مجموعة من خيرة الرقباء المسلحين بدبابيس..." و بذلك ضمن أيضا ولاء رعيته و استعطافهم أمام عدوه[1].

لقد كان لوقوع الملك "ريتشارد قلب الأسد" في الأسر بينما هو عائد من المشرق في يد دوق النمسا "ليوبولد Léopold V de Babenberg"[2*]. زاد من نجاح مخططات الملك الفرنسي. في شهر فيفري 1193م يسلمه الدوق النمساوي إلى مولاه الإمبراطور الألماني "هنري السادس Henri VI" و رغم المفاوضات التي كانت بين هذا الأخير و الملك الفرنسي في المرحلة الأولى و التي شارك فيها "حنا عديم الأرض" بعد ذلك و الذي كان من مصلحته هو أيضا بقاء الملك "ريتشارد" سجينا أو تسليمه إلى الملك الفرنسي، خاصة و أن "حنا عديم الأرض" كان قد قدم الولاء للملك الفرنسي كتابع له عن كامل الإقطاعات

---

[1] Op . cit., p 88-89

[*] هذا الأخير تعرض لإهانة من طرف ريتشارد أمام أسوار مدينة عكا حيث قام الملك الإنجليزي برمي رايته في الوحل أمام مرأى جنوده.

التي هي له فوق الأراضـــي الفرنسية بالوفـــاء له و بأدائه كامل الواجبات التي على التابع إزاء سيده كما أوجبه القانون الإقطاعي.

كان الإمبراطور الألماني يسعى إلى عدم ترجيح الكفة لأي طرف بل من أهدافه السياسية تسيير الأوضاع حتى تكون فوائده لصالحه، بحيث تتوجه الامور نحو فرض سيادته علـــــــــــــــــــى الملك الفرنســـــــــــــــــــي و الإنجلـــــــــــــــــيزي، و بالتالي يصبحون تابعين له بعد أدائهم الولاء له و بذلك يصبح أعلى سلطة زمنية في الغرب الأوروبي بدون منازع، ذلك ما جعله لا ينحاز لأي طرف[1].

و إن من بين الأسباب التي جعلت إطلاق سراح الملك الإنجليزي ضروري ما يحظى به من تأييد من حزب "الجيلفيون Les **guelfes** " أنصار البابا، و أيضا السمعة التي كانت له بعد مأثره الحربية خلال الحملة الصليبية الثالثة والتى أضحى بعدها يتمتع بها ، كخصم عنيد للمسلمين و مدافع عن المسيحية، إضافة إلى إلحاح الملكة" إلينور دي أكيتان d'Aquitaine Aleonor " والدة الملك" ريتشارد " لإطلاق سراح ابنها و توسلها للإمبراطور الألماني، كل هذه العوامل عجلت بإعلان إطلاق سراحه يوم الثاني فيفري 1194م، أما أعضاء جمعية" الديـــت La Diete " المنعقدة بمدينة " مايونس Mayence

[1] LUCHAIRE Achille., Philippe-Auguste et son temps (1137-1226), p 154.

أنغسطس

" بعدما قرأ عليه ما جاء في الرسائل التي بعث بها الملك الفرنسي و الملك" حنا عديم الأرض"* بالمطالبة بتسليمه لهم أو بإبقائه في السجن[1].

مما دفع بالملك "ريشارد" إلى القبول بأداء الولاء و الإخلاص للإمبراطـــور الألماني كسيـــد أعلى و هـــو تابع له. و يذكر "غيوم لومارشال*Guillaume le Maréchal* " بأن فك أسر الملك ريتشارد تطلب دفع دية قيمتها مئة ألف ليرة إنجليزية ساهم فيها كبار المملكة من الموالين كبرهان لولائهم لملكهم ، بل دفعوا بأبنائهم كرهائن لأجل تحقيق ذلك. مما جعل الملك يبعث برسائل لشعبه للتعبير عن إمتنانه و شكره إياه، و في العشرين من مارس 1194م نزل الملك ريتشارد بمرفأ" سندويتش **Sandwich** . و بعد شهـــرين من ذلك تجددت الحـــرب بين مملكة فرنسا و المملكة الأنجليزية– النورماندية امتدت في مرحلتها الأولى من ماي 1194م إلى غاية أفريل 1199م و سنتعرض في ما يأتي لوقائع هذه الحروب، و لما يليها من النزاعات العسكـــرية بين الطرفين إلى غايـــة 27 جويليـــة 1214م، تاريخ معركة "بوفين" التاريخية و التي كانت الحاسمة بين كل من مملكتي آل كابي و بلنتجيني و التي كانت تسيطر على إنجلترا و كامل الواجهة البحرية الغربية من فرنسا، من نورماندية و الأكيتان السلام .

---

*المبلغ الذي عرض لتسليمه للإمبراطور الألماني وصل إلى حد مئة و خمسون مارك، إن هو سلم ريتشارد، و ثمانون ألف مارك مناصفة بينهما إن أبقى عليه أسيرا إلى غاية عيد القديس يوحنا في سبتمبر من السنة المقبلة.

[1] MOLLAT M., Genèse médiévale de la France moderne, p :250.

أغسطس

عقب عودة فيليب أغسطس من الحملة الصليبية الثالثة بدأ هذا الأخير ببسط سيطرته على قلعة جيزور الإستراتيجية نحو نورماندية في أفريل 1193م، و بعدها مدينة "أومالAumale" عدد من صغار الحواضر إلا أنه فشل في فتح " روانRouanne" [1].

و بعد إطلاق سراح الملك ريتشارد قلب الأسد في 1194م و عودته من ألمانيا لتنقلب الموازين خاصة في معركة" فريتفالFréteval " أين تخلى الملك الفرنسي عند هروبه عن متاعه و من ضمها السجلات الملكية التي لم تكون لها هيئة دائمة بمدينة باريس يتم إيداعها فيها ، في خضم ذلك تم إبرام هدنة بتاريخ الثالث و العشرين جويلية 1196م ليتم ترسيخها في هذا السلم في جانفي 1196م بمعاهدة سلام في "لوفيسي"[2].

و من نتائج هذا السلام : تفرغ الملك "ريتشارد" لبناء حصن "قلعة قيارد Chateau Gaillard " تم ذلك في ظـــــــــــــرف سنة و كلف ذلك أموالا طائلة، لتستأنف الحرب بين عامي 1197-1198م، و لم يتمكن الملك الفرنسي سوى تقليل الأضرار و الخسائر أمام الآلة الحربية لدولة آل بلنتجيني ، و من أجل الإبقاء على جزء من قواعده في المنطقة و مخافة التراجع أمام عدوه سعى هو أيضا لبناء قلعة دفاعية في الضفة الأخرى من نهر "السين" و التي تعرف "بحصن قولي Le Goulet"، و في نوفمبر 1198م يتم

---

[1] GUENEE Bernard, politique, et histoire au Moyen-âge, p 126.

[2] Op . cit.p 134.

التوقيع على هدنة جديدة كانت نهايتها بوفاة الملك" ريتشارد " المفاجئة في أفريل 1199م[1].

الملك فيليب أغسطس ودوره في محاربة الهرطقة الألبيجنسية (جنوب فرنسا):

موازاة مع ذلك المجهود الحربي في الشمال عمد الملك إلى التوغل جنوبا و إن ذلك أكثر درجة منه في غيره من الأقاليم، و كان ذلك يحذر لوعيه باختلاف هذه الأصقاع لغويا و ثقافيا و تاريخا. إلا أن كانت العوامل العقائدية عاملا حاسما في بلورة فكـــرة غـــزو الأقاليـــم الجنـــوبية في "البروفانس La Provence " ، و "النقدوك Languedoc Le"، من مميزات هذه الحملة هو الإجمـــاع الـــذي حضيت به من طرف البابـــوية والملكية الفرنسية حول التصدي لبدعة " الكاثاريينLes Cathares " ،فأخذت هذه الحملة العسكرية صبغة دينية عقائدية، و كانت بمثابة حملة صليبية جديدة كسابقتها في المشرق ضد المسلمين ، كانت بقيادة ولي العهد الفرنسي الأمير" لويس الثامن"[2].

يرى بعض المؤرخين بأن الحملة ضد الألبجيين بين (1208م –1244م) هي من المقدمات التي سبقت الحروب الدينية بفرنسا خلال القرن السادس عشر (1562م – 1598م) فلما يقارب القرن انتشرت البدعة في إقليم لانقدوك جنوب فرنسا، و إن تعددت

[1]CORVISIER André (dir), Histoire militaire de France ,(Tome 3), des origines à 1715, p 79

[2]NEMO Philippe, Histoire des idées politiques dans l'Antiquité et au moyen-âge, p 687.

فرقها ، كان الموحد بينهم رفضهم لسلطة الإكليروسLe Clerge و في مقدمتها البابوية و أكثرهم تطرفا جماعة "الكاثريون"، داعين إلى بساطة العيــش و شيوع كل ما هو مادي بين بني البشر ، و رغم الحملة التي شنها واعظون من طراز القديس " بارنار **Saint Bernard** de **Clairvaux**" و القديس "دومنيك **saint Dominique**" في عصر الملك فيليب أغسطس لم تأت بنتيجة و لم توقف أعداد المؤمنين المتزايدة بهذه العقيدة الجديدة بين العوام من الشعب و البرجوازية المتذمرين من نمط عيش الكنيسة و كهنوتها[1].

كان لما أصدره البابا "إينوست الثالث" في ماي 1204 وقعه في التحضير المادي و المعنوي لهذه الحمــلة و قدسيتها ،حيث أقر بأن كل مشارك في هذه الحرب على المبتدعة له الغفران الرباني كالذي يشارك في الحملات الجهادية لتحرير بيت المقدس. و ضلت الأمور على حالها لانشغال الملك الفرنسي بحروبه مع مملكة آل بلنتجيني ليجدد البابا نداءه بن سنوات 1205 و 1207م و بعث البابا إلى البارونات في الشمال الفرنسي بالخصوص؛ داعيا إياهم إلى الجهاد المقدس فى المقابل لذلك لهم كامل الضمانات على سلامة إقطاعياتهم أثناء غيابهم إلا أن الحادث التاريخي الذي كان بمثابة الشرارة التي سارعت في مجرى الأحداث هو إغتيال المندوب البابوى "بيار دي كاستلنو **Pierre de**

[1]GIORDANENGO G.,Coutume et droit féodal en France (XII[e] – milieu XIV[e] siècle), La coutume (Congrès de Bruxelles, octobre 1984), Bruxelles, 1990, p 219-225 (Recueils de la société J. Bodin, t. 52).

Castelnau" و مما زاد من تعقيد الأمور الشكوك التي كانت تحوم حول ضلوع كونت "تولوزة Toulouse /رموند السادسRaymond VI" في الأمر خاصة و أنه قد أصيب بالحرمان l'excommunication من طرف السلطة البابوية بحجة تماطله في قطع دابر فتنة المبتدعة الكاثريون[1].

و مع ربيع 1209م تتوغل قوات المتحالفين في اللنغدوك مما أجبر الكونت ريموند السادس إلى التحالف مع البابوية و إعلان التوبة أمام الملأ بدير "سان جيل دي قار*Saint-Gilles-du-Gard* "، إلا أن ذلك لم يوقف الحملة لتسقط توابع الفيكونت "روجر دي ترنكفال*Roger Trencave* " و تحاصر مدينة" بيزيري Bezier"، لتسقط بعد ذلك في 22 جويلية 1209م، و يتم إبادة سكانها دون تمييز بين مبتدعة و كاثوليكيين.

بعد ذلك بشهر تعلن مدينة" كاركسون Carcassone"استسلامها و أصبح "سيمون دي مونفرد Simon de Montfort" سيد الموقف بعد أن حاصر مدينة تولوز لرفض الكونت "ريموند " مساعدته في القضـــاء على المبتـــدعين و كان أخضع كامل الإقطاعات التابعة لهذا الأخير. إلا أن البارونات الشماليين كانوا تحت سلطة الملك فيليب و لكونه قائد

[1]LANGLOIS CHARLES VICTOR , La vie en France au moyen-âge, de la fin du XII, au milieu du XIII siècle. in revue d'histoire de l'Eglise de France.année 1926, Volume n° 12, n°55, p 119-

الحملة إلا أنه كان حذرا في كل القرارات و الإندفاع الكامل في الغزو إلى غاية وقعة العقاب* بين المسلمين و جيوش قشتالة حيث كان لوقع الانتصـــار أثــر في نفســية الملك" فيليب أغسطس" و لوعيه بتزايد نفوذ الكونت "سيمون دي مونفرورد" و انهزام جيش ملك أرغونا Aragon"بيار الثاني Pierre II" أمام هذا الأخيرذلك ما دفع بولي العهد" لويس الثامن" إلى التفكير بالالتحاق"بسيمون دى منفورد" رغم معارضة الملك فيليب للفكرة ليقدم على ذلك بتاريخ أفريل 1215م بعد أن كان قد نذر بذلك ليبقى هنالك أربعين يوما برفقة الكونت سيمون أمام أسوار مدينة" ناربونةNarbonne" ، و ظلت الأمور بين أخذ ورد إلى غاية سنة 1221م أين تدخل الجيش الفرنسي بعد أن طال حصار مدينة "تولوزةToulouse" لسنوات دون إستسلامها[1]، ثم يعود الأمير لويس الثامن مرة أخرى في عام 1222م لينقذ إبن "سيمون" الكونت " أموري **Amaury VI de Montfort** " من هزيمة محققة، و لم يتسن للقوات الملكية إخضاع كل الأقاليم الجنوبية إلا في عام 1226م

* معركة العقاب (las NAVAS de TOLOSA) هزم فيها الفرنسي الثامن ملك قشتالة جيش الموحدين بتاريخ 16 جويلية 1212م...

[1]DEMURGER Alain –LEWIS Andrew, le sang Royal la famille CAPETIENNE et l'Etat, X^e, XIV^e siècle, ANNALES, économies, sociétés, civilisations, volume 44, 1989, p 401-403.

أغسطس

أي ثلاث سنوات بعد وفاة الملك" فيليب أغسطس"[1]، و تعتبرهذه الحملة العسكرية على الأراضي الجنوبية من فرنسا آخر عمل عسكري له؛ و إن لم يشارك بنفسه فيه.

[1]BALDWIN John-William, PHILIPPE-AUGUSTE et son gouvernement, pp 260-270. [1]

الفصل الثالث

الملك فيليب أغسطس و الكنيسة الرومانية

الفصـــل الثالث

الملك فيليب أغسطس و الكنيسة الرومانية.

- الملك فيليب أغسطس و الباباوات .
- الملك فيليب أغسطس و الكنيسة الفرنسية .
- فيليب أغسطس و التنظيمـــات اللإكليـــــــــركية .
- التربيـــــــة والتعليـــــــم .
- الطـــــــــابع الدينـــــــي للجامعـــة.
- مسار تطور جامعة باريس .

الرومانية

الملك فيليب أغسطس و الباباوات:

عاصر الملك "فيليب أغسطس" سبعة باباوات لمدة اثنتين وأربعين سنة تخللها فترات من الوئام والتوافق وأخرى كانت متوترة لتصادم مصالح الطرفين، ومناطق نفوذهما، إلا أن مملكة فرنسا أضحت في الغالب الأداة الممثلة زمنيا أكثر من غيرها من الممالك والإمبراطوريات لسلطة البابوية الروحية في الغرب الأوروبي، كما حظيت مع مرور الزمن بمكانة البنت الصغرى للكنيسة الكاثوليكية.

وبالتالي كان على الملك" فيليب أغسطس" واجبات منها السهر على جمعيات الكهنة القانونيين Les prêtres agréés ،و دعما لهم بالامتيازات المختلفة ،لكونه المدافع عن العقيدة المسيحية، و حامي الكنيسة الكاثوليكية و قائدها البابا(الحبر الأعظم)، و كذلك الأديرة، أين كان الرهبان و مختلف فئات الإيكليريوس مواظبون على الصلوات و الدعاء بالخير والسلامة للملك و المملكة، كان دعم الملك" فليب أغسطس" بألا موال ومنحهم أراضي جديدة جعلت من هذه الأديرة إلى جانب طابعها الروحي أقطابا اقتصادية ومجالا لتطوير التقنيات الزراعية كذلك المهارات الحرفية واليدوية ، كما أكد القرارات التي اتخذها من سبقه من الملوك الفرنسيين ومما أضفى هذه المنح الملكية الصفة القانونية المراسيم التى أصدرها

الرومانية

الملك" فيليب أغسطس" لتثبتها . و إقتصر ذلك على الكنائس و الأبرشيات المتوجدة في إطار الحوزة الملكية، أما في الأقاليم التي تم ضمها في عهده من نورماندية، أكيتانيا، و لنقدوك..الخ كان عليه إيجاد صيغة تفاهم مع الكنسية في الأراضي التي تم غزوها و العودة إلى التقليد "الكارولنجي Les Carolingiens"، و الذي جعل من الإكليريوس الفرنسي Le Clergé Francais تحت سلطة الملك السامية و من ذلك: "...سمح الملك لأسقف مدينة "لورداLourdes" بأكيتانيا؛ إصدار قراره و الذي به ثبت ما كان قد أعطاهم إياه الملك "لويس الطيب **Louis Ier**" ، محققا بذلك مبدأ علو و سمو السلطة الملكية أمام المؤسسة الإقطاعية، مكرسا بذلك دور الملكية في حياة الفرنسيين منذ تلك العصور..." [1].

الملك فيليب أغسطس و الكنيسة الفرنسية:

كمن سبقه من الملوك كان من واجبات الملك "فيليب أغسطس" التجهيز و تسيير الحملات العسكرية لحماية الأساقفة و الأديرة، ضد الإقطاعيين. ففي عام 1180م،و رغم كونه لم يكن بعد ملكا متوجا بصفة رسمية؛ يتوغل الملك" فيليب أغسطس" بجيشه في

[1]GEORY P. J., Vivre en conflit dans une France sans Etat : typologie des mécanismes de règlement des conflits (1050-1200), Annales ESC, septembre – octobre, 1986, n°5, p 1107.

الرومانية

منطقة "البيري" لمعاقبة السيد الإقطاعي صاحب "شارنتون Charenton" و حماية رهبان الدير الموجود فوق أراضيه. ثم في إقليم "برجنديا Bourgognes" أين كانت الكنيسة المحلية و ممثليها من قساوسة و رهبان في الأديرة، يتعرضون لاضطهاد وضلم كونت مدينة "شالونChalon " و الإقطاعي صاحب قلعة "بزووج Le **château de Bazoches** "

و في سنة 1186 إشتكى كهنة إقليم "برجنديا" للملك" فيليب أغسطس" تعسف الدوق مما جعله يهاجم هذا الأخير بجيش كبيرة ؛هزم على إثرها صاحب "برجنديا" مجبرا إياه على تعويض الأساقفة لما لحقهم من أضرار، و في عام 1210م يخلص جنود الملك أسقف مدينة "كليرمون" من طغيان و جور كونت "أوفارنيا L'AUVERGNE" و كذلك تمكن الملك "فيليب أغسطس" من ضم طائفة الكهنوت هنالك كحليف له و في نفس الوقت، قهر واحد من كبار الإقطاعيين و الذي كان متحالف مع كل من حكام "فلندرة" و شمبانيا[1].

إلا أنه لم يحرك ساكنا أمام اعتداءات كونت مدينة "ريمس Reims" المتتالية على الكنائس و الأديرة هنالك و سلبه لممتلكاتها، رغم استغاثتهم بالملك "فيليب أغسطس"

[1]GUENEE Bernard, politique, et histoire au Moyen-âge, p 185.

الرومانية

إلا أنه لم يجيبهم ،بعدما رفض هؤلاء دفع الضرائب للخزانة الملكية، و لم يكن جوابه سوى: "لقد أعنتموني بصلواتكم، و ما أستطيع إلا مؤازرتكم بدعائي ..." و ذلك خير دليل على أن الملك" فيليب أغسطس" كان واقعيا في قرارته ومبادراته مع الكنيسة و أي دعم، يقدمه لهذه الأخيرة كان مقرون بمصالحه السياسية، و لم يتحرك لنصرتهم كما يذكر "غيوم البريتاني Guillaume LeBreton" ؛إلا بعد اعتراف الأساقفة بخطئهم و إذعانهم لسلطته[1].

أما في حالة تصادم العوام من الشعب مع الكهنوت كان في الغالب يميل إلى الثانية عندما لا يمكنه الإصلاح بينهم، و إيجاد حل توافقي. و من ذلك تذكر لنا المصادر أنه في عام 1222م تم توقيف خادم الكاهن القانونيle chanoine ، في مقبرة الكاتدرائية و حبسه، رغم إلحاح المجلس الكهنوتي في طلب تسليمه و عدم مسائلته من طرف القضاء التابع للمجلس البلدي، إلا أن هذا الأخير يرفض، مما جعل الطرف الأول يرد بإصداره قرار الحرمان في حق رئيس المجلس البلدي و القضاة .نتج عن ذلك تجمهر البرجوازية هاتفين بنصرة مجلس القومونات Le conseil Communal ؛ منددين بقرار مجلس

[1]Halphen Louis., La place de la royauté dans le système féodal, A travers l'histoire du Moyen-âge, p 137.

الرومانية

الكهنة ليزحفوا بعدها على رواق الكنيسة حتى داخل قاعة الصلاة أين إنهالو على الرهبان ضربا و شتما ذلك ما أجبر الملك "فيليب أغسطس" على التوجه بعجالة؛إلى مدينة "نوايون Noyant" لتهدئة الوضع و إحلال الأمن[1].

مجبرا المجلس البلدي دفع تكاليف ما لحق بالكاتدرائية من أضرار، و قام رئيسه بإطلاق سراح السجين بأمر ملكي مع دفع مائة و خمسون ليرة لمجلس الكهنة. و كان على الملك "فيليب أغسطس" البث في الخلافات التي كانت بين القضاة المدنيين هنالك و أسقفية المدينة؛ حول صلاحيات كـــــــــــل منهمـــــــــــــا و حدود اختصاصاته، ولعدد من المرات كان ينصف الكهنوت و ممثليهم أمام البرجوازية ،مصدرا قرارات رسمية يتبين فيها انحيازه لسلطة الدينية، و كان عليه حماية مصالح هؤلاء و امتيازاتهم أمام القوة الصاعدة من الطبقة البرجوازية في كامل المملكة. و ذهب إلى أكثر من ذلك بعدما أصدر قرارا بموجبه كان على سكان مدن "بوفي Beauvais " و "تورنيي**Thorigny** " دفع إتاوات للأساقفة كواجب إقطـــاعي عليهم أداؤه[2] . أما مدن "كومبيان Compiegne" و "لكوونLacan"، أجبر المجالس البلدية على دفع ما كان عليهما من مستحقات إزاء المجالس الكنسية. و لرهبان دير "هيسدان L'Abbaye de

[1] MOLLAT M., Genèse médiévale de la France moderne, p 196

[2]CORVISIER André (dir), Histoire militaire de France ,(Tome 3), des origines à 1715, p 93.

الرومانية

Hesdin" أن ينعمر بالأمن و الطمأنينة أمام تسلط أهالى قرية "فايFayet" و لدير "فوسيل de Fossille *L'Abbaye* " مواثيق ملكية يجب التذكير بـــــــــــها علنـــــــــــــا أمام الملأ مرة كل سنة لضمان ديمومة هذه الامتيازات[1]، و في عام 1210م يؤكد الملك الفرنسي" فيليب أغسطس" على قرار الحرمان الذي صدر في حق برجوازية مدينة "شالون" و الذي أصدره رئيس أساقفة مدينة "ريمس". كذلك، يأمـــــــــــــــر رئيـــــــــــــــس البلـــــــــــــدية و أعضاء المجلس لمدينة "بيرون" بدفع غرامة قدرها مئة ليرة لأسقف المدينة كتبرئة و طلب للغفران لما ارتكبوه من ذنب في حقه[2].

فيليب أغسطس و التنظيمـــات اللإكليـــــــــركية:

في مقابل هذا الانحياز للملك و إدارته للكنيسة أمام الرعية، تزامن ذلك مع صراعه مع الكهنوت فقد تم إحالة عدد من الأساقفة أمام القضاء الملكي، أو طردهـــــــــــــــــم من أبراشيتهـــــــــــــــــــم، و حـــــــــــــــرمانهم مـــــــــــــن حقـــوقهم و مداخيلهم، بل وصل إلى حد

[1]CONTAMINE Philippe., Histoire militaire de la France, p 55.

[2]CONTAMINE Philippe., Histoire militaire de la France, p 59.

الرومانية

أن تحتل الأسقفيات من طرف ممثلي الملك [1]. و تبع ذلك إصدار نصوص تشريعية من طرف المؤسسة الملكية للحد من سلطة و نفوذ الكنيسة الزمني بزيادة الضرائب على مدا خيل الأبرشيات و الأديرة و جبايتها بالقوة إن استلزم الأمر ذلك.

و أهم قرار هو إلزامية وقوف أعضاء الكنيسة الفرنسية بمختلف أطيافهم؛ مع الملك الفرنسي و مساندته أمام البابوية. بذلك أراد الملك "فيليب أغسطس" فرض سلطته على الأساقفة و رؤساء الأديرة، و من قبل مع المؤسسة الإقطاعية، كمقدمة لتدخل الملك الفرنسي في سير عمليات انتخاب المجالس الإكليريكية. التي كانت في السابق و منذ عهد "لويس السادسLouis le Gros" (الجسيم) لا يتعدى تدخل السلطة الملكية سوى بمنح للمنتخبين من الكهنوت رخصة الانتخاب، ثم عرض اختيار الهيئة المنتخبة أمام الملك للمباركة و تزكية، و ظلت الأمور على حالها خلال السنوات الأولى من حكم الملك"فيليب أغسطس" و يقول ناظم قصيدة "الفيليبيدLa *Philippide* " "غيوم البريتاني Guillaume le Breton" في ذلك :".... لي أنا وحـــــــــــــــــدي السلطـــــــــــــــة الزمنية و التي تحصلت عليها بحد السيف و ذلك يكفيني. و لرجال الدين حق خدمة الرب و شؤون كنيسته.." أما المؤرخ و الفارس الذي شارك في الحملة الصليبية السابعة رفقة حفيـــد الملك "فيليـــب أغسطس" و أعني به النبيل "جون دي جوان فيلJean de Joinville" كاتب سيرة الملك "لويس التاسع LouisIX" (القديس) جاء في مؤلفـــــــــــــــاته

[1]CORVISIER André (dir), Histoire militaire de France ,(Tome 3), des origines à 1715, p 94.

الرومانية

حـــــــــــــول مآثر و أقوال ملكه ما يلي : "...بلغني أن جدي الملك "فيليب أغسطس" قال له بعض من مستشاريه بأن رجال الكنيسة أخذوا منه جزءا هاما من حقوقه الملكية و أن صلاحيات سلطته القضائية أقل من صلاحيات القضاء الكنسي، فأجا بأنه على وعي بذلك و لكنه مجبرا على تقبل ذلك حمدا و شكرا للرب على النعم التي أنعمها عليه و لا يجب الدخول في صراع مع الكنيسة المقدسة.." [1].

مماأوجب التساؤل هنا: هل كان فعلا متساهل مع الكنيسة و البابوية؟ أم أن ذلك كان بحسب المواقف و ما تمليه عليه الضرورة و المصلحة السياسية، و لعل هؤلاء المؤرخين أرادوا بهذا السرد إعطاء صورة إيجابية و مثالية حول شخص الملك" فيليب أغسطس" و غيره من الملوك في التاريخ الفرنسي انطلاقا من كون فرنسا البنت الكبرى للكنيسة الكاثوليكية و الحامية لها و الراعية لمصالحها[2].

إلا أن تساهل الملك فيلب و عدم تدخله في انتخابات المجالس الكنسية لم يدم طويلا ففي عام 1199م عند موت كبير أساقفة مدينة "سونس"، أنتخب مجلس الكهنة "هيق Hugue" أسقف مدينة "أوكسيرAuxerre"، إلا أن السلطة البابوية و على رأسها البابا "إينوشنسيوس الثالثInnocent III" أعطى منصب كبير أساقفة مدينة "كومبري

[1]GEORY P. J., Vivre en conflit dans une France sans Etat : typologie des mécanismes de règlement des conflits (1050-1200), Annales ESC, septembre.

[2]CORVISIER André (dir), Histoire militaire de France ,(Tome 3), des origines à 1715, p 95

الرومانية

Cambrai" ل:"بيار دي كورباي **Pierre-Gilles de Corbeil**" الأستاذ السابق في جامعة باريس .كذلك في عام 1204م[1] بمدينة "ريمس" بحجة أن الكهنة القانونيين لم يتوافقوا على من ينتخبوه و لم يقع بينهم إجماع ؛يعين البابا أحـد الكاردينالات هو "غيوم باريGuillaume Barry" .في عام 1220م انتخبت السلطة الكنسية لمدينة باريس كأسقف "غوتيي كورني" و أعطى عدد كبير من أساقفة مدينة "سونس" موافقته، و اعترف البابا "إينوسنسيوس الثالث" بصواب الاختيار إلا أنه كان يفضل لهذا المنصب إسقف مـدينة "أوكسير" "غيـوم دي سيقنلي" Guillaume II de Seignelay" ". المعـروف بمعارضتـه للملك" فيلـيب أغسـطس" و تم ترسيم مرشح البابا في منصبه الباريسي. و يرى المؤرخ الفرنسي "آشيل ليشار" بأن الملك الفرنسي كان يجد فائدة في تدخله بشؤون المؤسسة الكناسية و وليا على السلطة المدنية في هذه الشؤون[2].

مع ذلك كان الملك يطلب من الأساقفة ورؤساء الأديرة أدائهم ليمين الإخلاص، و الواجبات العسكرية الحربية؛ كما يقتضيه العرف والقانون الإقطاعي متساوين في ذلك مع أعضاء المؤسسة الإقطاعية و لعل أهم حدث تاريخي يجب ذكره هو عدم انصياع أسقف مدينـــــــــــــــة "تورنيTournai"؛ لأوامـــــــــــــــر

[1] BROUSSARD Jean., Services féodaux, milices et mercenaires dans les armées, en France, aux X^e et XII^e siècles, p 176.

[2] LUCHAIRE Achille, Philippe- Auguste et son temps, p 129.

الرومانية

الملكيـــــة، وعدم حضوره برفةفرقة عسكرية عشية عيد الصعود L'assencion، كان هذا الأسقف رجلا مثقفا و مسالم مذكرا في رسالته الملك" فيليب أغسطس" بأنه ليس برجل حرب و لا يعرف مبادئ فنون القتال كما ذكر بما يلي: "...إن أساقفة مدينة "تورني" لم يطلب منهم ذلك منذ عهد الملك الميروفنجي "شيلدريكChildrique"، سوى الإخلاص لملوك فرنسا و المساعدة و تسيير المهام و الأمور الإدارية داخل البلاط..." [1].

و خوفا من بطش الملك "فيليب أغسطس" ألتمس الأسقف "إيتيان Etienne" من المطران "غيوم دي شمبانيا Guillaume de Champagne" كبير أساقفة مدينة "ريمس" معترفا له في إحدى رسائله بأنه من الصعب عليه تلبية مطالـــــــــــــب الملك ،كذلك خشيته من بطش الملك "فيليب أغسطس" و عليه اختيار أمرين أحلاهما مر...

و هو نفس الموقف لكل من أساقفة مدن "أورليانOrléans" و "أوكسيرAuxerre" بعدما رفض هما إرسال الرجال لدعم الجيش الملكي عام 1210م في "بريتانيا La Bretagne" بحجة أنهم ليسو مجبرين على ذلك؛ عندما لا يقود الحملة العسكرية الملك ذاته. لم يتم حل الإشكال إلا بعد تدخل البابا داعيا كلاهما إلى قبول حل توافقي تمثل في عدم المطالبة ألأموال التي دخلت إلى الخزينة الملكية خلال فترة الحرمان و الذي وقع بين

[1]DUBY Georges., Les sociétés médiévales : une approche d'ensemble , Hommes et structures du moyen-âge, p 58.

الرومانية

سنوات 1210م و 1212م ، مكتفيا بإعطاء الأسقفيين مبلغ ثلاث مئة ليرة و إعفائهم من واجبات الخدمة العسكرية وعليهم أن لا يتقاعسوا عن إرسال الإمدادات من رجال إن طلب منهم ذلك.

و كان الملك "فيليب" كما أثبتت ذلك السجلات الملكية يحرص على التزام الكهونت بما جاء في القانـــون الإقطاعي، و في عام 1218م في عهد البابا "هونوريوس الثالث HonoriusIII "تدخل هذا الأخير، لحسم النزاع الذي كان بين الملك" فيليب أغسطس" و أسقف مدينة "أورليان المطرن "مناسسManassès de Seignelay " و الذي اشتكى للملك بعدما بنى هذا الأخير برجا في قصر" سولي château de Sully "على ضفاف نهر اللوار و هـــــــــــــو من توابع أسقفيته[1]؛ كان جواب الملك" فيليب أغسطس" بأن ذلك تم بعدما تعرض عدد من التجار للسلب من طرف صاحب القصر، و رغم عرض الأسقف بتعويض ما أنفقه الملك على بناء البرج إلا أنه، و بعدمـــا تدخل البـــاب تراجع شريطة أن يكـــون القصـــر و ملحقته جاهزة عند كل طارئ لاستعمال لصالح الملك" فيليب أغسطس" و جيوشه. و رغم كون الملك" فيليب اغسطس" تابع للكنيسة الكاثوليكية إلا أنه لم يؤد تحية الطاعة لكونه ملك فرنسا وليس عليه أداء ذلك لأحد، إضافة إلى ذلك، كون بعض من أراضيه هي فوق إقطاعيات تابعة للكنيسة إلا أنه كان لا

[1]Halphen Louis., La place de la royauté dans le système féodal, A travers l'histoire du Moyen-âge, p 139.

الرومانية

يتعرف بسلطة بعض من الأساقفة مع ذلك ، و التي تقع على حدود أسقفيتهم مما حرم عدد منهم من حقهم في فرض الهيمنة على أتباعهم كما يقتضيه العرف و القانون الإقطاعي نذكر منهم: أساقفة "أميانAmiens"، "تيروان Turenne"، "أوكسيرAuxerre"، "نوايونNoyant" ، و "بوفيهBeauvais" و إن كان الملك قد منحهم تعويضا من خلال تنازله على حق الضيافةL'Hospitalite، و مما يجبي على الغلال الزراعية خاصة الخمور والحبوب[1].

و أما خضوع الكنيسة لسلطة القضاء الملكي ؛اتبع الملك" فيليب أغسطس" نهج أسلافه ؛ في استدعاء عدد من الأساقفة و رؤساء الأديرة للمثول أمام محكمة الملك بباريس و نذكر أن أسقف "أوليان" المطران "منساس" كان في صراع معه حول المأوى الملكية Les Gites لكل من قصري "مانقMeung" و "بيتفى **Pithiviers**"، هذا الأخير كان يرفض محاكمته من طرف القضاء الملكى و أن يحاكم من قبل أقرانه الأساقفة، ولا يتعرف بشرعيته[2].

لجأ الملك إلى مصادرة كامل الأملاك التابعة لذات الأسقفية و ظل الحال على ذلك لمدة ستة سنوات .و بمناسبة انعقاد المحكمة الملكية أين اجتمع كبار البارونات و صفوة أحبار الكنيسة الفرنسية للبت في قضية وراثة كونتية شمبانيا، عاد الأسقف "مناسس" إلى

[1] LOT Ferdinand, L'art militaire et les armées au moyen-âge, PARIS, 2 vol, p 213.

[2] LUCHAIRE Achille., Philippe-Auguste et son temps (1137-1226), p 142.

الرومانية

الاحتجاج مطالبا بمحاكمته من جديد أمام القضاء الكنسي،معللا بالقول بعدم اختصاص القضاء الملكي في ذلك. مما أجبره على تقديم اعتذار العلني للملك و للبارونات المجتمعين هنالك[1].

مع نهاية القرن الثاني عشر و بداية القرن الثالث عشر الميلاديين، بعدما أنشئت المحاكم الكهنوتية المختصة لنظر في القضايا الخاصة بالمؤسسة الكنسية ،و من هم في خدمتها أو تحت وصايتها من أرامل، يتامى، قدماء المحاربين في الحملات الصليبية، الطلبة ...الخ، بل تعدت مجال اختصاصها و تجاوزت الأمور الدينية مثل: الاعترافات، الانتخابات، و الذنوب التي اقترفت في الأماكن المقدسة، و كذلك تدنيس و خرق المقدسات، البدع و الهرطقة ، السحر، و السيميونية. لتبقى قضايا الزواج و الطلاق من اختصاص الكنسي البحت، مما يدفعنا الى التساؤل عن الاختصصات الباقية للمحاكم الإقطاعية و الملكية ؟

كانت المؤسسة الإقطاعية أول الثائرين على تجاوزات القضاء الإكليريكي، و مما زاد من قوة هذه الحركة المعادية هو تأييدها من طرف المؤسسة الملكية و من ذلك ما ذكره مؤرخ من مدينة أوكسير : "....ففي حوالي 1180اشتد النزاع بين السلطة الملكية و كبير أساقفة "سوسنSoisson" حـــول اختصـــاصاته القضائية وعدم نظر القضاء الإكليريكي في تلك التي ليست من اختصاصه، وترك ما يعرض عليه من أمور دنيوية

[1] GORBY Ivan, les CAPETINS (888-1328), p 63.

الرومانية

للقضاء الملكي... [1]"إلا أن الفصل بين الأمور الدنيوية والدينية في العصور الوسطى أمر يكاد يكون مستحيل للتدخل الذي كان للدين و للكنيسة في الحياة العامة[2].

إلا أن كبير الأساقفة رفض التنازل عن صلاحيات القضاء الديني في النظر والبت في ما يعرض عليها من قضايا دنيوية من طرف العوام، مما أجبر هذا الأخير إلى التخلي عن منصبه بعدما خيره الملك" فليب أغسطس" بين الرضوخ لسلطته أو التخلي عن منصبه[3].

تطور الصراع و اتخذ شكلا قانونيا بحتا ففي الفترة بين 1205-1206 أصدرت إدارة البلاط الملكي حكما كان بموجبه منع القضاة الإيكليركيون من استعمال مواد القانون الإقطاعي عند إصدار أحكامهم و يمكن في هذه للقضاة المدنيون توقيفهم و محاكمتهم و تم أيضا بموجب هذه الاجتهادات القانونية تحديد حق اللجوء إلى أماكن العبادة. ولا يمكن للكنيسة إصدار التحريم ممارسة التجار لنشاطاتهم يوم الأحد وحتى التعامل مع اليهود. لقد أثبتت الوثيقة التي وجدت في الأرشيف الملكي في باريس تواطأ البلاط والملك "فيليب أغسطس" مع الإقطاع في إصدار هذه الوثيقة، حيث كتب في الأعلى – القانون الملكي

[1]LUCHAIRE Achille., Philippe-Auguste et son temps (1137-1226), p 142.

[2]CONTAMINE Philippe., Moyen-âge (le roi, l'église, les grands, le peuple), p 234.

[3]GIORDANENGO G.,Coutume et droit féodal en France (XII[e] – milieu XIV[e] siècle), La coutume (Congrès de Bruxelles, octobre 1984), Bruxelles, 1990, p 219-225 (Recueils de la société J. Bodin, t. 52).

الرومانية

ضد تجاوزات إكليريوس – و في عام 1206م أفضى اجتماع عدد من كبار الإقطاعيين بمدينة "روانRouanne" في نورماندية منهم كونت "بولون Bolognes" ، السيد النبيل صاحب قصر "بوفيي" ومعهم جمع من كبار النبلاء في نورماندية أكدوا بأن الحقوق االتي يتمتع بها الملك والإقطاعيين في علاقاتهم مع الكنيسة و أعضائها منذ أيـــام الملك "هنري الثانيHenri II Plantagenet" وابنه "ريتشارد قلب الأسد" لا يمكن التراجع عنها ووثقوا لذلك وثيقة أمضى عليها اثني وعشرون منهم[1].

وفي عام 1218م اعترف كبير أساقفة مدينة" روان" بسلطة المحضرين الملكيين، وبحقهم في النظر لما يتعلق بأمور الكنائس التابعة لاختصاصاتهم الإقليمية عندما يكون المشكل مطروح بينها وبين العلمانيين، كما تعهد الحبر بعدم إصدار الحرمان الكنسي في حق الموظفين الملكيين و تحديد حق اللجوء الكنسي، الذي كان يمنح للمطلوبين من طرف القضاء المدني.

و من خلال هذه الترسانة التي حررها الكتاب والموظفون الملكيون كانت سياسة الملك "فليب أغسطس" تسعى إلى إخضاع القضاء الديني لسلطته و بالتالي جعل الكنيسة أداة في يده.

[1] GUIZOT FRANCOIS, vie de PHILIPPE-AUGUSTE, de Guillaume le Breton dans collection du mémoire relatif a l'histoire de France, p84 198.

الرومانية

كما عهد الملك "فيليب أغسطس" إلى استغلال المصادر المالية التي كانت تتمتع بها الكنيسة من خلال ما تدره عليها العائدات المختلفة و التي وفرت لها موارد ماليةا كان يحسد عليها. فكلما كانت خزينة الملك "فيليب أغسطس" تواجه صعوبات لم يمنعه أي وازع ديني أو أخلاقي على استغلال ذلك و لو بالقوة، يؤكده المؤرخ الفرنسي "آشيل ليشار": "... الملك" فيليب أغسطس" لم يكن يفرق بين أمـــــــــــوال اليهـــــــــود و الكنيسة عند الضرورة الملحة" [1]

ازدادت خلال القرون الوسطى كما هو معلوم ثروات المؤسسة الدينية و تنوع مدا خيل هذه أخيرة ؛ذلك ما جعل أطماع البلاط الملكي و المؤسسة الإقطاعية كبيرة لأجل ذلك كانت كل الوسائل مقبولة من أجل الاستيلاء عليها[2]. ففي عام 1188م يطلب الملك فيليب من رجال الدين في فرنسا المساعدة المالية لتحرير الأراضي المقدسة من خلال إعطاء الخزينة العشر من مداخليهم المالية، و عرفت هذه الضريبة في أدبيات ذلك العصر – بعشر صلاح الدين– مما أجج الاحتجاج في الأوساط الكنسية بزعامة الشماس "بيار دي بلوة Pierre de Blois" محذرا أقرانه من أساقفة بمختلف المدن الفرنسية أن ذلك سيقود

[1]ACHILE LUCHAIRE, Philippe- Auguste et son gouvernement, p 144.

[2]Halphen Louis., La place de la royauté dans le système féodal, A travers l'histoire du Moyen-âge, p165 163.

الرومانية

إلى فرضها كضريبة إلزامية تدفع لخزينة الملك ،و أنهم سيصبحون شيئا فشيئا عبيدا للملك و علل كلامه (....من يريد الجهاد في سبيل نصرة الكنيسة و محاربة الكفار لا يمكنه أن يبدأ بسرقتها)،لأجل مثمنا رسائله بنصوص من الكتاب المقدس كحجج ، و ذهب إلى أبعد من ذلك حيث استشهد بما يلي : " في عهد فرعون كانت النصوص التي تحدد الضرائب، تستثني و تحترم امتيازات طبقة الكهنة..."

و ليس على الحاكم مطالبة رجل الدين بالدعاء و الصلاة لسلامته و رخاء شعبه و غير مقبول من الملك" فيليب أغسطس"؛ الذي استمد من الكنيسة سلطته ،بعدما باركته وأيدته أن يضطهدها..." [1].

لم يتوقف الملك "فيليب أغسطس" عن فرض ضريبة العشور*. ليس فقط لرفض الإيكليريوس دفعها و معارضته لسنها، لكن لارتفاع الرسوم الضريبية مقارنة بما كان متداول من النقود و كذلك لضعف منظومة التحصيل الجبائي و بساطتها. مما دفع بالملك في السنة الموالية 1189م على إلغاء ما أصدره من مرسوم، فرض بموجبه هذه الضريبة. إلا أنه أعاد الكرة في عامي 1215 و 1218 لله ليكون له النجاح هذه المرة، حدث ذلك

---

[1] Op. cit.,p 145.

* سميت هذه الضريبة بـــ : La dîme saladine و ذلك لتجهيز الحملة الصليبية الثالثة لدحر جيوش الملك صلاح الدين الأيوبي و الذي بدأت جيوشه تتوفق عسكريا.

الرومانية

حين أضحت جزية عشر المال إجبارية ؛و التي على رجال الدين دفعها .و ستصبح إجبارية في عهد الملك "لويس التاسع"

و لعلها كان التهرب الضريبي أحدالوسائل التى اعتمدهاالملك "فيليب أغسطس" لتنحية مـــــن يعارضـــــــــــه ،و لفرض من يريد في الوظائف الاكليركية .بذلك لم يكن مطالبا بواجب استشارة البابوية في ذلك. ووصلت به الأمور إلى حد استعمال القـــــــــــوة لـــــــــــذلك و يذكر لنا المؤرخ "ريغورRigord" : "أنه في عام 1186م فرض على رئيس دير سان دوني "غيوم دي قاب *Guillaume Le Mire, de Gap* " ضريبة قدرت بألف مارك. و دون انتظار رده يذهب الملك" فيليب أغسطس" لدير دون إشعار أحد بقدومه مما أرعب "غيوم دي قاب" و على الفور استدعى مجلس الكهنة القانونيين ليعلن لهم استقالته من منصبه.." [1].

و في عام 1194م يذكر نفس المؤرخ أن الملك "ريتشارد قلب الأسد" قام بطرد و نهب رجال الدين من كنيسة "سان مارتن دي تورSaint Martin de Tours " و استولى على الأراضي التابعة لأساقفة الموالين لعدوه الملك "فيليب أغسطس"، و يرى المؤرخ "ريغور" أن الداعي لذلك هو إيجاد الأموال اللازمة لتجهيز للحملة الصليبية الثالثة ؛ بحسب نفس المؤرخ فإن الملك الفرنسي كان يعتقد بان جمعه للأموال بذات الطريقة ، هو الحل الأوحد لتحقيق هذا الواجب المقدس مع سعيه الدائم إلى حسن التدبير المالي في تسيير

[1] LUCHAIRE Achille., Philippe-Auguste et son temps (1137-1226), p 174.

الرومانية

شؤون الدولة، حتى يتفادى الوقوع في نفس موقف أسلافه؛ الذين لم يستطيعوا دفع مستحقات جنودهم و فرسانهم ؛لانعدام المال لديهم في مرات عديدة ،مما جعلهم يفقدون أجزاء من دولتهم..." [1].

التربية والتعليم:

تعتبر جامعة باريس ثاني أقدم الجامعات الأوروبية خلال العصور الوسطى و إن كان السبق زمنيا لجامعة بولونيا* (1088) ، و يجمع المؤرخون على أنها- جامعة باريس -بدأت نشاطها في أواسط القرن 12م و مما يؤكد ذلك المرسوم الملكي الصادر عن الملك" فيليب أغسطس" سنة 1200 و البراءة البابوية التي أعطاها البابا "إينوصت الثالث InnocentIII " في عام 1215 م.

و خير دليل على المكانة التي أضحت تتمتع بها هذه المؤسسة العلمية ما دونته الكتب التاريخية في قضية احتكام كل من ملك إنجلترا" هنري الثاني" بلنتجيني في صراعه

---

[1]DELABORDE HENRI FRANCOIS, œuvres de RIGORD et de Guillaume le BRETON,.p 185.

جامعة بولونيا بإيطاليا: تعتبر هذه الأخيرة أقدم الجامعات الأوروبية بحيث يعود تاريخ إنشائها إلى 1088م، و اتخذت اسم **Alma mater studiorum**

* سنة 2000. و أصدر امبراطور فريديريك باربروسا سنة 1158 ميثاق" *Constitutio Habita*"و الذي كرس *المجال الجامعي فضاءا للبحث و المعرفة بعيدا عن كل التجاذبات السياسية و الدينية و عن كل السلطات.*

الرومانية

مع كبير أساقفة بلاده "توماس بيكث **Thomas Becket** " حيث قبل بواسطة إما"...البلاط الملكي الفرنسي، الكنيسة الفرنسية، أو جامعة باريس..."[1] ووارد عند المؤرخ "غيوم البريتاني" جامعة هذه المدينة، ممجدا لها ما يلي: "أصبحت هذه الأخيرة مجالا تزدهر فيه الآداب بأنواعها، بشكل لم يسبق له نظـــــــــــــــــــير في التاريـــــــــخ القديم لا في أثينـــــــــا و لا في الإسكندرية... وأضحت مقصدا للطلاب من كامل الغرب الأوروبي..."[2]

و يذهب "آشيل ليشار" إلى القول بأن طلاب و أساتذة هذه الأخيرة كانوا دوما في الصف الأول خلال المراسيم و الاحتفالات في عهد الملك "فيليب أغسطس" كما ورد في سجلات العقود الملكية.[3]

و تأكيدا على قيمة أساتذتها العلمية يذكر "غيوم البريتاني"أن "بودوين **Baudouin de Constantinople** " صاحب فلاندرة ،عندما توج إمبراطورا على بيزنطة بعد الحملة الصليبية الرابعة، سعى إلى جلب أساتذة منها لإصلاح النظم التعليمية في القسطنطينية[4].

---

[1] ACHILLE Luchaire, Philippe- Auguste et son temps , p 198.

[2] Jacques LE GOFF, les intellectuels aux moyen-âge, p 98.

[3] Charles Petit-Dutailli, Études sur le « Registrum Veterius » et la date de quelques actes de Philippe-Auguste .

[4] Jacques LE GOFF, la civilisation de l'occident Médiéval, p 225.

الرومانية

و قد مدح كبير أساقفة دير" بون إسبيرونس L'*abbaye de Bonne-Espérance* " "فيليب دي هارفتن Philippe de Harveng " باريس و جامعاتها "...إنها مدينة سعيدة يكثر فيها طلاب العلم، حيث أن عددهم يفوق سكانها من العوام العلمانيون..."

كما لا ننسى ذكر دور الطلاب و الأساتذة في حرب الكنيسة الكاثوليكية و مملكة فرنسا ضد "الهرطقة الألبيجنسيةLa **croisade des Albigeois** " إلى استنجاد البابا "هونوريس الثالثHonnorius III" بهم في عام (1209)؛ لمؤازرة الحملـــــــــــــــــــــــــــــــة و تصحيح عقيدة الضالين من سكان "اللنقدوكLanguedoc" في الجنوب الغربي من فرنسا و القضاء على البدعة "الكتاريةl'hérésie Cathares"[1]. قبل ذلك يجب علينا التعرض للبدايات الأولى التي أسست لهذه الجامعة لمعرفة أصول تأسيس هذا الصرح العلمي الذي مهد لنهضة الفكر الإنساني و تجديد التراث الإغريقـــــــــــــــــــــــــــــي الرومـــــــــــــــــــاني و الاستلهام من عصارة الفكر الشرقي الإسلامي فى أوروبا حيث يذكر لنا المؤرخ "رشدال Hastings *Rashdall* " الدور الذي قام به أحد التجار الأثرياء من مدينة لندن إثر عودته من بيت المقدس و يذكر لنا<<.. اشترى الثرى "جوش Joshe" قاعة بقصر" أوتيل ديو L'hôtel Dieu" في باريس و وقفها كمسكن لصالح الفقراء من طلاب الجامعة ،بالإضافة إلى تخصيصه مبلغا من ماله لإطعامهم و كسوتهم ،في المقابل كان

[1]Emmanuel Leroy Ladurie, Histoire de France des regions, p 180.

الرومانية

عليهم القيام بمهمة دفن الموتى؛ من هذا المستشفـــــــــــــــــــــــــى، حامليـــــــــــــــــــن الصليب و الماء المقدس...>>[1]

أما المؤرخ الفرنســـي "دونيـــــــــفل Deneuville" فيـــــــذكر لنا "... و هكـــــــذا تم تأسيـــــــــــــــــــــــــس أولى الكليـــــــــــــــات الباريسيـــــــــــــــــــة و المعروفة بمدرسة الثمانية عشرة... لتبدأ بعد ذلك المعاهد في الظهور عبر كامل المدينة نذكر من بينهم معهد "سان أنوريSaint Honore" ،الذي تم تأسيسه في عام 1209م من طرف أرملة الثري "إتيان بيرو"و آخر في "دير سان توماس دي لوفرSaint Thomas du Louvre" غير أن المؤرخان "كريستوف شارل" و "جاك فرجي"[2] يقولان بأن جامعة باريس على عكس جامعة بولونيا كانت تجمع لعدد من المدارس بعد تاريخ (1150) حيث انصهرت فيها المؤسسات التعليمية المعروفة برابطات الطلبة العلمانيين[3] مع المعاهد المتواجدة في الضفة الشرقية من نهر السين لتأسيس ما أصبح يعرف بجامعة باريس و يذهب "آشيل ليشار" إلى ذكر قوة هذه الطبقة الاجتماعية في العصور الوسطى "...إن أهمية و قوة الجمعيات الطلابية، ذات الحظوة و الامتيازات

---

[1]HASTKINGS RASHDALL, The UNIVERSITIES of Europe in the middle ages, p 125.

[2]Jacques verger, éducations médiévales : l'enfance, l'école, l'église en occident (v-xv) siècle, pp 65-90.

[3]CHRISTOPHE CHARLES et Jacques VERGER, Histoire des universités, Edit publications universitaires de France , pp 76-77.

الرومانية

عند نهاية القرن 12م دفع بالبابوية إلى العمل على بسط سلطاتها عليها للحد لاستقلاليتها المتزايدة ؛بالتالي جعلها أداة فييد الكنيسة الفرنسية ومن ثم البابوية فى هذا الصراع ..."[1]

كما يجب علينا ذكر ما تقرر فى المجمع المسكوني الثالث ب: "لاتران"Latran (1179م) و الذي أكد على ضرورة إعطاء أهمية لتعميم التعليم بين رعايا الكنيسة[2].

و أعطى ذات المجمع ،الحق في حرية التدريس من خلال مجانية الحصول على شهادة تسمح لحاملها بمزاولة مهنة الأستاذية، دون دفع مبالغ مالية لمجلس الكنيسة المحلية و دعمت هذه الإصلاحات ما جاء في مجمع المسكونى الرابع "لاتران"Latran (1215) و الذي ترأسه البابا "إينوصت الثالث" لاحقا. تزامن ذلك مع بروز جماعات المتعلمين كطبقة إجتماعية، لها قوة داخل المجتمع الفرنسي من خلال مؤسسة بدأت منذ ذلك العصر تعرف بالجامعة *.

---

[1]ACHILLE Luchaire, Philippe- Auguste et son temps , p 201.

[2]M.M.DAVY , La situation juridique des Etudiants de PARIS au XIII siècle.

* الجامعة (universitates, magistrorum-scolarium): هيئة كناسية كانت لها امتيازات ملكية و بابوية تهتم بالتعليم اللاهوتي و العلمي تتكون من الأساتذة و الطلبة

الرومانية

و يرى "آشيل ليشار" :<<... إن جامعة باريس بالخصوص بدأت تأخذ كل الأبعاد نحو الوعي بوحدتها الثقافية ،عندما تجمع حول كرسي أستاذ من ألمع أساتذتها و معلم من معالم التاريخ الأوروبي الوسيط الثقافي و العلمي ألا و هو "أبيلار Abélard " جمع من الطلاب من كامل الغرب الأوروبي . بذلك أضحت هذه الأخيرة مؤسسة و صرحا علميا كامل الوجود مع النصف الثاني للقرن 12م .." مع ذلك لم يرد ذكر هذه الجامعة في المواثيق و النصوص الرسمية و كذلك الأدبية منها،إلا مع بداية القرن 13م و لعل أهم هذه الوثائق عقود أصدرها البابا "إينوصت الثالث" بين سنوات 1207 –1209 لتنظيم الحياة الطلابية. وفي بعض من السندات الأسقفية الصادرة في عام 1207م، يجب التنويه هنا بأن البراءة البابوية أعطت في عام 1221م للأساتذة الحق بصنع و امتلاك أختام خاصة بهم.

تعتبر البراءة الملكية ميثاقا تحصلت بموجبها الهيئة الجامعية؛ على مكانة في المجتمع كما قننت هذه القوانين الحبرية؛ السير الحسن و التنظيم الداخلي لجامعة باريس. يجب الإشارة هنا بأن القانون الكنسي؛ صنف رعايا الكنيسة إلى طبقين هما الإكليريكيون

الرومانية

و العلمانيون* إلا أن السؤال الذي تطرحه المؤرخة "ماري دافي **Marie-Madeleine Davy** " هو حول تصنيف الأساتذة و المتعلمين؛ فإلى أي فريق يمكن تصنيف الجامعيين معه ؟ علما أن هؤلاء كانوا من رجال الدين .غير أن التعريف اللغوي البحـــت لايعطى إجابة كافية

؛ فالعلمـــانيون هم الأميون و بالتالي فهم من العـــــــــــــوام و ليس لهم الامتيازات الممنوحة لرجال الكنيسة[1].

و انطلاقا من هذا السؤال يجب علينا البحث عن ما قدمتاه كل من البراءة الملكية و البابويـــة و التي جعلت من هذه الطبقة الحديثة النشأة في مجتمع العصور الوسطى بالغرب الأوروبي. كما جاءت البراءة التي منحها "فرديرك باربا روسHohenstaufen **Frédéric I^er** "للمنتسبين إلى جامعة بولونيا في إيطاليا قبل ذلك بحوالي خمسين سنة و يذكر حولها العلامة " هاستينق راشدال " أن الأساتذة و الطلابة كان يمكنهم اللجوء إلى القضاء الأسقفي، أو التقاضي أمام أقدم أساتذة القانون، و كذلك القاضي العلماني[2] . أما في ما يخص جامعة باريس فكان المنتسبون الجدد من التلاميذ يقسمون إلى فئتين الأولى و

---

* العلمانيون : Laique و أصلها اللاتيني Laicus و التي كانت تعني المنتمي إلى عامة الشعب و الذي لا يحسن القراءة و لا الكتابة.

[1]M.M.DAVY , La situation juridique des Etudiants de PARIS au XIII siècle, p 20.

[2]HASTKINGS RASHDALL, The UNIVERSITIES of Europe in the middle ages, T 01, p 292.

الرومانية

المشكلة من الذين هم في الأصل إكليركيون من الأنظمة الدينية المعروفة أنذاك و لقد اهتمت المؤرخة ماري دافي بما تم منحه من امتيازات جاء بها التشريع الكنسي و كذلك التي أحدثها التشريع العلماني**.

خلال نيابة الكردينال" روبير دي كورسونROBERT de COURCON" و بعدما أضحت الجامعة تتمتع بامتيازات قانونية خاصة .أعطى لها هذا الأخير أول قانون أساسي في أوت 1215 مما جاء فيه؛ تحديد سن التأهيل لتدريس اللاهوت La Théologie، حيث كان على من يترشح لذلك ؛مزاولة مسار دراسي قبل ذلكيكون قد دام مدة عشر سنوات في نفس التخصص، و الشرط نفسه لتدريس الفنون الحرة* مع مراعاة حسن السيرة و السلوك لكل المرشحين، و كذلك اشترط على أساتذة اللاهوت أن يكونوا بالغين سن خمسة و ثلاثون سنة، و فيما يخص أساتذة الفنون الحرة ، كان يجب للحصول على أهلية التدريس؛ أن يكونوا قد بالغين سن العشرين ،أمضوا منها ستة كاملة في التحصيل العلمي في التخصص، يكلل مسارهم الدراسي بحصولهم على إجازة تؤهلهم لمزاولتهم مهنة

**اللفظ اللاتيني للتشريع الكناسي و الإمتيازات التي يمنحها Privilegium canonis أما الإمتيازات العلمانية privilegium fori .

* الفنون الحرة(ARTS LIBERAUX) : هي مجموع المواد التي كانت معتمدة كأساس و قاعدة العملية التعليمية خلال العصور القديمة الإغريقية – الرومانية و grammaire :قواعد اللغة، dialectique: الجدل، rhétorique: البلاغة، بالإضافة إلى l'arithmétique, الحساب، la musique : الموسيقى، la géométrie : الهندسة، l'astronomie: علم الفلك و كل هذه العلوم اعتبرت و إلى وقت غير بعيد أساس العملية التعلمية و لا بد على المتعلم الإلمام بها حتى يستطيع الإنتقال إلى المراحل الأعلى.

الرومانية

التدريس. و كان على الأساتذة الالتزام بالخدمة بالجامعة لمدة لا تقل على سنتين بدون انقطاع، و مما سعى إليه الكردينال " روبير دي كورسون"* هو إعطاء الخصائص و الميزات التي يتفرد بها الطلاب و الأساتذة من جامعة باريس من ملبس و تقاليد حيث جاء عند المؤرخ: " ألان دي ليلAlain de Lille " :" لا يمكن للمتعلم سوى ارتداء غفارة الدائرية للكهنة la Soutane ؛ذات اللون الداكن و التي تصل إلى غاية عقبه، و من واجباته حضور المراسيم الجنائزية لأعضاء الهيئة الجامعية و كان على الأساتذة القيام بالواجب ذاته عند وفاة أحد الطلبة بالسير في جنازته و تشييعه حيث كان إلزاما حضور عددي لنصف أساتذة الكلية التي ينتمي إليها المتوفى ليحذوا النصف الباقي من الأساتذة ذات التقليد عند وفاة طالب آخر، و كذلك إحياء هؤلاء لقداس ليلي عند وفاة أحد زملائهم بداخل الكنيسة التابعة للكلية و القيام بواجب الصلاة و الدعاء لروح الفقيد علما أن الدروس و المحاضرات كانت تتوقف خلال يوم الحداد...".

* روبير دي كورسون (ROBERT de COURCON) ، كاردينال إنجليزي توفي أثناء حصار مدينة دمياط (1218)، خلال الحملة الصليبية الخامسة، كان له الفضل في وضع القوانين المنظمة لجامعة باريس خلال الفترة بين 1215 و 1216.

الرومانية

كان الإلزامي على الطالب انتداب أستاذ واحد طيلة دراسته ،يكون بمثابة مرشدا له. هذا الإجراء الرقابي كانت الغاية منه مراقبة هوية الطلاب المنتسبين للجامعة ؛في الداخل و الخارج و لحمايتها من الغرباء على الهيئة الجامعية. و الذين قد يسيئون إلى المؤسسة العلمية بتصرفاتهم التي تحسب عليها وعلى أعضائها من الأساتذة و الطلبة و بالتالي كان " للأستاذ سلطة قانونية على طالبه..." و يعتبر "آشيل ليشار": "... الأستاذ من جامعة باريس مدبرا لشؤون الطالب ،و مسئول عن سلوك طالبه، و له الحق في تأديبه فهو في الوقت نفسه أستاذ و قاض...".[1]

كما كان من حق الأساتذة و الطلبة إنشاء و تأسيس رابطات خاصة بهم داخل الكليات أو بحسب جنسياتهم،و ما يجمعهم من خصوصيات مختلفة علمية، و طبقاتهم الاجتماعية أو روابط المواطنة والعرق. وكان من أهداف هذه الرابطات الدفاع على هذه الشريحة الاجتماعية الحديثة النشأة في مجتمعات الغرب الأوروبي الوسيط خاصة في الصراع و النزاعات المتعددة مع سكان المدينة من البرجوازية أخص بذكر حول أسعار الإيجار و ما قد يصدر من انحرافات سلوكية للجامعيين، ينتج عنها قلاقل أو النزاعات خاصةتلك المتعلقة؛ بدفع إلا يجار في مواعديه أو إسراف الملاك الباريسيين

[1]Dubarle, *Eugène* - Histoire de l'Université de Paris, T 1 , p523.

الرومانية

برفعهم كراء البيوت للمستأجرين من الطلاب بسبب العلاوات الباهظة التي يقومون بها فى كل مرة . أمام زيادة الطلب على البيوت للوافدين من خارج باريس لطلب العلوم و الفنون بالجامعة مع نهاية القرن الثاني عشر و بداية الثالث عشر مع محدودية بيوت الكراء داخل مدينة باريس، يمكننا استخلاص أن عميد الجامعة " روبير دي كورسون "،عندما وضع القوانين الخاصة بها ،أعطى بذلك لمكونات الأسرة الجامعية الحق في التجمع كهيئة لها خصوصياتها و في التجمع داخل رابطات خاصة بها[1].

الطابع الديني للجامعة:

تؤكد كل القوانين التي جاءت لتنظيم الجامعة الباريسية و الصادرة عن السلطة الدنيوية أو الدينية على طابعها الإكليركي من مكوناتها البشرية من طلبة و أساتذة و الذين لهم الحق في ارتداء الإكليل الكهنوتي و حلاقة الرأس بالشكل الذي هو بنفس طريقة رجال الكنيسة* متميزين بذلك عن العوام، ففي

[1] *Féret*, Pierre, La *Faculté de théologie de Paris* et ses docteurs les plus célèbres, tome Ier, Moyen Âge,pp 310-320

* La tonsure: و هي تقليد كنسي اعتمدته بعض الكنائس المسيحية خاصة الكنيسة الكاثوليكية، و المتمثل في حلق رأس التابع الجديد للكنيسة من الرعايا العلمانيين و الإكليريكيين بشكل دائري كدليل على خضوع المنتسب الجديد للكنيسة و تنازله

الرومانية

رسالة بعثتها هيئة الجامعة في عام (1221م) إلى أعضاء نظام الرهبنة الدومينيكي Les Dominicains الحديثين الاستقرار آنذاك بباريس طالبين من هؤلاء إشراكهم و مؤاخاتهم من خلال منحهم شرف وامتياز؛ دفن أعضاء الهيئة الجامعية المتوفين في رواق ديرهم و سيحضون بكامل التشريفات التي هي من نصيب أعضاء هذا النظام من الرهبنة. كما يظهر ختم جامعة باريس الطابع الديني لهذه المؤسسة العلمية حيث تظهر أعلاه السيدة العذراء حامية الجامعة و عن يسارها يقف أسقف باريس حاملا "عكازا" و عن اليمين قديسة محـــــــــــــــــــــاطة بهالـــــــــــــــــــــة القـــــــــــــــداسة و أسفلهم الأساتذة و الطلبة، و في وسط الختم صليب على كل الاتجاهات.

مسار تطور جامعة باريس :

من المؤكد أن المؤسسات الجامعية، و من خلال الرابطات و الهيئات الطلابية و جمعيات الأساتذة استطاعت منذ نهاية القرن 12 م و بداية الثالث عشر التحررمن سيطرة الأسقفيات تدريجيا لتصبح تابعة قانونيا لسلطة البابا نفسه حيث يذكر :"هاستينق راشدال *Hastings Rashdall* ": "كان للباباوات الفضل الأكبر في إنشاء هذه الرابطات الجامعية،

عن الحياة و مغرياتها المادية، و يرافق ذلك لبس اللباس الكنسي و تغيير لاسمه و هي بمثابة ولادة جديدة لذلك المنظم لخادمي الكنيسة.

الرومانية

حيث تراجع دور الأساقفة و مدراء مدارس الكاتدرائيات أو المجالس القانونية للكهنة.[1] حيث كان هؤلاء الأطراف يجنون أرباح لا تحصى من حق التدريس و منح الإجازة للأساتذة... و بحسب أهواء الزعامات الدينية المحلية و مصالحها دون مراعاة أي معيار علمي أو الكفاءة في التدريس مما دفع بالباوات إلى التدخل و إصدار قوانين لردع تسلط ممثليه من خلال الجامعات استقلالية و هو بالفعل مرحلة مهمة في التاريخ الأوروبي الوسيط و الهادف إلى إعلاء سلطة البابوية على حساب القوى المحلية..." إلا أن هذا المسار تخلله صراعات و نزاعات انتهت أغلبها إلى صيغ توافقية قانونية. نذكر من بينها الاتفاق الذي كان في 1219م بين كل من "بياردي نمور Pierre de Nemours" أسقف باريس و رئيس الجامعة الباريسية حول إصدار الحرمان ضد المتخلفين من مكونات الهيئة الجامعية و خص بالذكر المتعاهدين منهم داخل الجمعيات و الرابطات الجامعية المختلفة كما شمل الحرمان كل شخص من ساكنة باريس ممن يتستر عن هؤلاء الجامعيون و لا يعلم السلطات عن تصرفاتهم اللا أخلاقية من تسكع أو اعتداء على

[1] Jacques verger, éducations médiévales : l'enfance, l'école, l'église en occident (v-xv) siècle, pp 71-74

الرومانية

حـــــــــرمات و أملاك البرجوازيين مما أجبر الجامعيون إلى جمع المال اللازم الذي يسمح بالدفاع عن مطالبهـــــــــــــــــــم أمـــــــــــام البابا و انظم إلى الجامعيين الثائرين على قرارات الأسقف و حزبه، منهم الراهب قيران كاهن الملك فيليب أغسطس الخصوصي. و الذي وصل به الأمر إلى توقيف الأساقفة و سجن الطلبة و مما جاء به المؤرخ "غيوم البريتاني" على لسان البابـــــــــــــــــــــــــا "هونوريـــــــــــــــوس" الثالـــــــــــــــث الساخـــــــــــــــط علـــــــــــــــى تصرفـــــــــــــــات الأسقـــــــــــــــــــف الباريســـــــــــــــــي و جماعتـــــه ما يلي: "... صوت العلم و المعرفة يتم إسكاته في باريس و كيف يسمح أسقف باريس لأحد معاونيه بإيقاف هذا النهر من العلوم، و الذي من خلال روافده المتعددة يسقي و يخصب أرض كنيسة الرب..." و بالفعل تم إلغاء قرار الحرمان من طرف البابا و استدعاء كل من مدير الجامعة و أعوانه للاستفسار و تبرير قراراتهم أمام الحبر الأعظم في روما.

و في 1229م أصدر البابا "هنروريوس الثالث" قرارا منح فيه أسقف مدينة باريس صلاحيات حبس أو فرض غرامات على الجامعيين أو حضورهم لأداء اليمين أما الأسقف أو أي جهة أخرى تابعة له مثل . كما أضحى منح الإجازات العلمية لا يتم من طرف

الرومانية

الأسقف بعد موافقة الهيئة المنتخبة و المكونة من أساتذة الكلية بعد تقرير يقدمه أستاذ المادة المعنية أمامها،بل من طرف العميد.

إلا أن عدم التعايش ساد بين مكونات الجامعة من طلبة و أساتذة من جهة و رجال الدين من جهة أخرى، حيث حاولت بعض الأنظمة الديرية السيطرة على جامعة باريس ، و يذكر "جاك لوقوف JacquesLegoff" ما حدث بين طائفة الرهبان الدومينيكان ومجموعة من الطلبة ذاكرا ما يلي: ".... أن البابا "هونوريوس الثالث" أثنى على جامعة باريس لحسن استقبالها الرهبان الدومينيكيون في عام 1220... إلا أن إصطدامات عنيفة كانت بعد ذلك بين الجامعيين و الرهبان..." [1] و لعل من الأسباب المباشرة لذلك عدم تقبل رجال الدين لبعض الكتب المعتمدة في التدريس من علوم و فلسفة كان يرى فيها أعداؤها تنافي مع العقيدة المسيحية و يذكر "جاك لوقوف" : "....حيث تم منع تدريس الفيزياء و الميتافيزيقا بجامعةباريس ابتدأ من عام 1210..." [2] .

مع ذلك أنتجت جامعة باريس نخبة يذكر منها جاك لوقوف : " من أبيلار إلى أوكام، مرورا بألبرت الكبير و القديس "توماس الأكويني Saint Thomas d'Acquin " دون أن

---

[1] Jacques le Goff, les intellectuels au moyen-âge , p 109.

[2] Op. cit., p 123.

الرومانية

ننسى "جون جرسون Jean Gerson" و سيقار دي بربان "Siger de Brabant".. كان بداية لنوع من المتعلمين هو تعبير عن الإنسانيون المسيحيون..." [1] . بالفعل أعاد هؤلاء للفكر مكانته ؛إلا أن من الواجب علينا ذكر طائفة من الجامعيون و هم الطلبة الجوالون Golliard* الذين ثاروا على سلطة الكنيسة و الدولة بحكم أصولهم الاجتماعية المتواضعة و عدم قدرة هؤلاء على المتابعة العادية للدراسة بسبب العوز و قلة المصادر المالية مما جعلهم يثورون[2] على الكنيسة بالخصوص حيث يذكر جاك لوقوف حولهم: " ...هؤلاء المتعلمون الهائمون المنحلون أخلاقيا ، هم أقرب إلى المهرجين و ممارسي ألعاب الخفة منه إلى طلبة الجامعة... حيث تم إدانتهم من قبل المجامع المختلفة و "السينودسات Les synodes" العديدة كما ورد تجريمهم في أدبيات بعض رجال الكنيسة ...".

هذه الطائفة كانت بمثابة ثورة على ما كان سائدا من تقاليد تحكم المجتمع الجامعي، من خلال نقدها و تشهيرها برجال الدين بالأخص و عدم رضوخها لكل القواعد الاجتماعية السائدة أنذاك، ورفضهم لكل القواعد الأخلاقية و المغالاة في حياة الترف و اللهو و دعوتهم الغير معلنة إلى إعلاء سلطان العقل و الفكر، بل وصل بهم الأمر إلى

---

[1] Op.cit.,p. 04-05.

* الطلبة الجوالون: les GOLIARDS فئة متمردة من طلبة جامعة باريس خلال القرنين 12م- 13م تنحدر من أصول اجتماعية معدومة.

[2] Op.cit.,p. 29.

الرومانية

انتقاد شخص البابا كما حدث مع "غريغور السابع GregoireVII " حيث جاء عند المؤرخ "جاك لوقوف":<<... الرب يقول إن اسمي مقرون بتقاليد الكنسية و احترام أتباعي لهذه التقاليد ....>> و رد عليه هؤلاء "... بل اسمي مقرون بالنقود..."

ضد سلطة الكنيسة و رجالها و جمعهم للمال دون حدود لعل كل ما تم التعرض إليه هو من بعض مظاهر و بدايات المؤسسة الجامعية الباريسية نحو استقلال التفكير عن طغيان الكنيسة و سير نحو ترسيخ التقاليد العلمية لهذا الصرح.[1]

و خلاصة القول إن أساتذة و طلاب جامعة باريس استطاعوا ،و بعد صراع طويل تخلله أحداث جسام، أن يدخلوا تحت سلطة البابا و خاصة بعد القرار الملكي الذي أصدره الملك" فيليب أغسطس" في عام 1202م، كما يجب الإشارة بأن هذا التطور الحاصل بفضل عدد من القرارات الحـــــــــــــــــبرية الـــتي شكلت و بنت الهيئة الجامعية كمكون من مكونات مجتمع العصور الوسطى بفرنسا.

[1]Jacques le Goff, les intellectuels au moyen-âge , p 32.

خاتمة

إن محاولة إعطاء صورة للغرب الأوروبي من خلال مملكة فرنسا عند نهاية القـــــرن 12م و بداية 13م و استخراج المادة التاريخية التي تمس جوانب من تاريخ هذه المملكة في عهد واحـــــد من أعظـــــــــم ملـــــــوك فرنسا و آل كابي على السواء، و هو الملك "فيليب أغسطس"، علما أن الكثير من الدراسات و المقالات المتخصصة باللغات الأوروبية عديدة بالإضافة إلى الفرنسية قد درست جوانب كثيرة من حياة هذا المؤسس و المساهم الكبير في بناء حدود فرنسا الحالية و هيكلة مؤسسات دولتها.

و بعد دراسة ما تم ترجمته من كتب و أدبيات من شعر خاصة خلدت مآثر هذا الملك و أقصد هنا الترجمة من اللغة الفرنسية القديمة و التي لست ملما بها، و كذا اللاتينية التي كانت اللغة الرسمية.

و أذكر هنا ما جاء به المقربون منه على رأسهـــــــــــــــــــم "ريغور" خاصة "غيوم البريتاني" و كـــــــــــــذلك المقـــــــــــربون من ملوك إنجلـــــترا من أمثال: "روجر هوفدن" و الذين كتبوا حوليات هاجموا فيها ملك فرنسا، في حين مجد الأولون ملكهم دون أن ننسى "إتيان دي فوجير" و الذي أرخ للملك هنري الثاني و كذلك رجل الدين "روبير دي أوكسير" صاحب الحوليات

التاريخية التي اعتمد عليه من له من المؤرخين في تأليفهم كنموذج و الراهب "قيران" القس الخصوصي للملك فيليب و قائد ميمنة جيشه في معركة بوفين التاريخية.

و لعل ما تم جمعه بعد ذلك من خلال حوليات دير سان دونيز، أو الحوليات الكبرى حول تاريخ فرنسا كوثيقة رسمية منذ ذلك العهد كتقليد رسخه "سوقر" في نهاية القرن الحادي عشر و بداية الثاني عشر الميلاديين.

لقد سعى مؤلفو هذه الموسوعة التاريخية بعد ذلك خلال القرن الثامن عشر ميلادي إلى إتباع مسلك رجل الدين و الدولة الفرنسي "سوقر" في كتابة تواريخها و عظماء رجالها و ملوكها.

بالإضافة إلى التجديد في الكتابة التاريخية بعدما وضعت تقاسيم زمنية للحقب التاريخية خلال القرنين التاسع عشر و بداية العشرين حيث بدأت العصور الوسطى تأخذ قسطا هاما من الدراسة و البحث و في ذلك تنافست مدارس متعددة الجنسيات من فرنسية، إنجليزية، إيطالية، ألمانية..الخ بل حتى الأمريكان دخلوا المعترك و على رأسهم المؤرخ "هاسكينز" و بالفعل تعرضت العصور الوسطى لدراسة من نواحي و جوانب عديدة و تيارات فكرية مؤيدة لفكرة إيجابيات العصور الوسطى في الحضارة الأوروبية، و بنائها. و فريق ثاني ينفي ذلك، أما حول الملك "فيليب أغسطس" فيعتبر

ممـــــــــــــــن خصصت لهم دراســـــــــــات عديدة و لجوانب متنوعة من حكمه و مآثره التي خلدها بالمواثيق الرسمية المحفوظة في الأرشيف الوطني الفرنسي بمختلف دوره، كما اعتمدت على ما ألفه جامعيون من مؤلفات عديدة وز أذكر منهم المؤرخ و الموسوعي الفرنسي "آشيل لوشير"و "فريدينا ند لوط" في المجال الحربي، و حول الجامعات و النهضة الجامعية "جاك فرجي"، كما تعرض "جاك لوقوف" إلى جوانب دفينة و خفية عن المثقفين و دورهم في الحياة العامة خلال حكمه بصفة خاصة، و العصور الوسطى بصفة عامة. و اهتمت المدرسة التاريخية الأمريكية اهتماما كبيرا بالعصور الوسطى الأوروبية و خاصة الملك فيليب أغسطس و ساهمت أعمال الكثير منهم عمدة المؤرخين المختصين في التاريخ الأوروبي الوسيط من الأمريكان و هو "هاسكينز" في ذلك و من أهمهم "جون وليام بلدوين"، و الذي اهتم بتبيين ما احتوته المواثيق و المراسيم التي أصدرها هذا الملك بالأخص. كما عمل الكثير من المهتمين بهذه الحقبة التاريخية على إظهار المراحل التي مرت بها عملية تكوين الدولة و كيف بنيت هياكلها في عصره و بداية استقرار مؤسساتها و كتابة القوانين الوضعية معالم السيادة التي نعرفها اليوم من بياشين، و أختام ، العواصم الثابتة و المستقرة، و حفظ سجلات الدولة.

بالإضافة إلى المجهود الحربي و الذي يعتبر بحق السمة الغالبة لهذه العصور التاريخية، و التي اختص فيها عدد من المؤرخين منهم "فرديناند لوط"، "فيليب

كونتامين"، " آندري كورفيزي" حيث عمدوا على تبيين قوة الأدوات العسكرية و التقنيات الحربية و بداية التخصص الحربي لطبقة اجتماعية (مهنة الجندية) و هيكلة الجيوش و تدريبها، و المساعد على ذلك دون شك التطور التقني السريع لعل أهم استعراض لذلك هو الحملات الصليبية و القدرة على نقل ميدان الصراع نحو العالم الإسلامي، بعدما ضلت فرنسا و أوروبا لقرون في عزلة تامة عبر تجنيد للجيوش و القوة الحربية، و ما تابعه من تبادل حضاري بين الشرق و الغرب، أخص بالذكر هنا الحملة الصليبية الثالثة و التي شارك فيها الملك فيليب أغسطس رفقة الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد، حيث اعتبرها العديد من المؤرخين نقلا للصراع بين المملكتين إلى ميادين بعيد عن فرنسا و ساحات الحرب فيها، أو تأجيله إلى حين العودة من أداء الواجب المقدس ، كما عمدت إلى تبيين التطور الحضاري و الاقتصادي الذي عرفته مملكة فرنسا خلال حكم ملكنا بسبب الاستقرار و الأمن الذي سهل ذلك و ساهم في زيادة حجم التبادلات التجارية من خلال الأسواق، المعارض و بذور النواة الأولية للاستقرار المدني المعلن على قرب نهاية عصر الإقطاع و مؤسساته المختلفة ، و جاءت أعمال كل من "جورج ديبي" و "جون فيوري" لتبين هذه التغيرات الاقتصادية و بداية تأسيس الدولة الملكية في فرنسا و ما رافقها من أعمال و إنجازات حضارية كانت إعلان ميلاد مفهوم الدولة- الملكية و هيبتها و علوها على باقي السلطات الأخرى.

كما تعرضت إلى الكنيسة الفرنسية بصفة خاصة و علاقتها مع الملكية الفرنسية، و الملك فيليب الثاني بالأخص، و الباباوية بصفة عامة إذ اختص هذا الملك بمعاصرة تسعة من البابوات و رغم الصراع الذي كان بينه و بين عدد منهم ، و لعل إينوصت الثالث أهمهم إ'لا أنه استطاع أن يضمن استقلالية كاملة لدولته و لشخصه أمام علو السلطة البابوية إلى جانب نهضة الجامعات العلمية التي هي بحق من نتاج العصور الوسطى و أحد معالم بداية نهاية طغيان الفكر الكهنوتي على الحياة العامة و ميلاد العقل الرافض لهيمنة الكنيسة على العباد و سهوها كسلطة روحية أمام جميع محاولات التجديد. كما شهدت هذه المرحلة بدايات إنشاء معالم حضارية داخل العاصمة باريس نذكر منها بداية تبليط شوارعها.

إن الصراع بين ملوك إنجلترة من آل بلنتجيني و الملك فيليب أغسطس أفضى في الأخير إلى بروز فلسفة حكم فرنسية أساسها علو سلطة الملك أمام القوى الاجتماعية السياسية الأخرى داخل فرنسا، على عكس إنجلترة التي انتهى بها الأمر إلى تقديم الملك هنري الثالث تنازلات حددت من سلطته و من يليه من الملوك من خلال الميثاق العظيم.

إن عملي هذا جاءت فيه المصادر العربية و المراجع قليلة أو نادرة لعدم وجودها في المكتبة العربية باستثناء ما تم ترجمته من الأعمال الأوروبية لبعض الأساتذة من المشارقة أذكر على سبيل المثال : سعيد عبد الفتاح عاشور – السيد

الباز العريني...الخ، أو ما جاء في المصادر التاريخية التي عالجت الحروب الصليبية أو ما ذكره القلنشندي في معجمه صبح الأعشي من مصطلحات.

و يمكن الحصر ما تم دراسته إلى ما يلي :

تطور هياكل الدولة الفرنسية – علاقة الملكية الفرنسية بالكنيسة و البابـــــــــــوية – المجهـــــــــــــود العسكري و الغزوات التي قام بها فيليب أغسطس – المآثر الحضارية لعصر فيليب أغسطس و علاقته برعيته.

كان هذا البحث محاولة لتسليط الضوء و إظهار ما ترتب عن عملية توحيد لمختلف الأقاليم الفرنسة– أو لرسم خريطة فرنسا المالية– خلال عصر فيليب و كيف استطاع أن ينقل سلط الملك من سلطة اسمية إلى سلطة فعلية و جعلها فوق جميع القوى السياسية و الدينية و الاقتصادية داخل فرنسا، كما أن عصره حلقة من حلقات الصراع الفرنسي الإنجليزي، و الذي كانت أبرز محطته حروب المئة سنة (1337–1453) ، و كيف كان لانتصاره الباهر في جويلية 1214 ببوفيين أثر في تأسيسه لفكرة القومية الفرنسية، و التي كانت تمتد أراضيها القارية فوق فرنسا فهو مهد لملوك عظام من نفس السلالة و غيرها على السعي في تحقيق و الوصول لوحدة فرنسا. و إن لم يقوم كليا بهذا المجهود أما وضع القواعد الأولى لهياكل الدولة من خلال استحداث مؤسسات مستقرة في عاصمته باريس، كما بذل مجهـــــــــــــــــود في تنظيمها و إحداث مآثر معمارية تؤرخ لعصره.

و في الوقت الذي كانت تسير مملكة إنجلترة نحو سلطة الملك من خلال الميثاق العظيم أخذت الملكية الفرنسية طريقا كان في ترسيخ الملكية و سلطة الملك المطلقة.

كما كان للتطور التقني المرافق لازدهار تجاري أثر كبير في تنوع مداخيل الأفراد و الدولة بعدما حقق لذلك الشرط الأول و هو الأمن و الاستقرار و الذي ضمنه الملك و سلطته.

و أعلن عصر الملك فيليب بداية علو سلطته على سلطة البابا و تراجعها أمام الملكية و بالتالي استقلال الإكليريوس الفرنسي بخصوصيته عن البابوية، و أضحى جزء من مكونات الدولة الفرنسية و أداة في يدها و كذلك خضوع الإقطاع و اعترافه الفعلي بالملك كسيد فوق الجميع.

أخيرا فإن ما يمكن الوصول إليه حول الصورة التي تقدمها هذه المصادر لما كانت عليه أوضاع فرنسا كجزء من الغرب الأوروبي الوسيط خلال نهاية القرن الثاني عشر و بداية القرن الثالث عشر الميلاديين على مستويات عدة لتوضيح الرؤيا لنا كأجانب عن هذا المجال الحضاري و لغياب المصادر و المراجع العربية التي تعرضت لذلك..

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

المصادر sources

- DELABORDE HENRI FRANCOIS, œuvres de RIGORD et de Guillaume le BRETON, éd H-F DELABORDE, 2 t, Paris, 1882-1885.
- GUIZOT FRANCOIS, vie de PHILIPPE-AUGUSTE, de Guillaume le Breton dans collection du mémoire relatif a l'histoire de France, librairie BRIERE, Paris, 1825.
- Guillaume de Nangis, Chroniques capétiennes, vol. 1, 1113-1270, vol. 2, 1270-1328, trad. Du latin par F. Guizot, paleo, Clermont-Ferrand.
- Joinville , Le livre des saintes paroles et des bonnes actions de saint Loius, éd. Natalis de Wailly, paris, 1874.
- Rigord, Histoire de Philippe Auguste, éd. Carpentier et al., C.N.R.S. Paris, 2006.
- Suger, Vie de Louis VI le Gros, éd. Les belles lettres, Paris, 1964.
- Les Grandes Chroniques de France, édition de Paulin, Paris, 1969.

قائمة المراجع:

-AUDOUIN Edouard, Essai sur l'armée royale au temps de Philippe auguste, édit hachette, paris, 1913.
- BAILLY Auguste., les grands CAPETIENS édit FAYARD, Paris, 1952.
- BALDWIN John-William, PHILIPPE-AUGUSTE et son gouvernement, Paris FAYARD, 1991.
- BARTHÉLEMY Dominique: (nouvelle histoire de France médiéval), T(III) : L'ordre seigneurial XII^{e} – et XIII^{e} siècle, édit du SEUIL, 1990.
- BAUTIER Robert-Henri, La France de PHILIPPE-AUGUSTE : le temps des mutations, édit CNRS, 1982.
- BEAUME Colette, Naissance de la Nation France, édit Gallimard, Paris, 1985.
- BORDONOVE Georges; PHILIPPE-AUGUSTE, le conquérant, édit Pygmalion, Paris, 1983.
- BOURIN-DERRUAN Monique : (nouvelle histoires de France médiévale), T(IV) : Temps d'équilibres, temps de ruptures XIII^{e} siècle), édit du Seuil, Paris, 1990.
- BOURNAZEL Eric., Histoire générale des systèmes politiques, Les Féodalités, édit PUF, Paris,1997.

- BROUSSARD Jean., Le gouvernement d'Henri II Plantagenêt, édit taillandier Paris, 1956.
- BROUSSARD Jean., Services féodaux, milices et mercenaires dans les armées, en France, aux X^{e} et XII^{e} siècles, édit Champion, Paris 1968.
- BOUTRUCHE Robert., Seigneurie et féodalité. I : Le premier âge des d'homme à homme, Paris 1968 ; II : L'apogée (XI^{e}-XIII^{e} siècle) Paris, 1970.
- CARPENTIER ELISABETH, PION Georges, CHAUVIN YVES (dir). Histoire d PHILIPPE-AUGUSTE, Paris, CNRS édition « sources d'Histoire médiévales », 33, 2006.
- CONTAMINE Philippe., Histoire militaire de la France, édit Publication universitaire de France , Paris, 1994.
- CONTAMINE Philippe., L'économie médiévale, édit Publication universitaire de France , Paris,1993.
- CONTAMINE Philippe., Moyen-âge (le roi, l'église, les grands, le peuple), édit SEUIL, Paris, 2002.
- CORVISIER André (dir), Histoire militaire de France ,(Tome 3), des origines à 1715, édit Publication universitaire de France , Paris 1997.
- DUBY Georges, GUERRIERS et PAYSANS, XII^{e} et XIII^{e} siècles, édit GALLIMARD, 1973.
- DUBY Georges, le Dimanche de BOUVINES (avec textes anciens), édition GALLIMARD, collection folio, Paris, 2009.
- DUBY Georges, Les trois ordres, ou l'imaginaire du féodalisme, édit PUF , Paris, 1996.
- DUBY Georges., Le Moyen-âge, De Hugues Capet à Jeanne d'arc, Histoire de France , édit Hachette, Paris, 1987.
- DUBY Georges., Les sociétés médiévales : une approche d'ensemble , Hommes et structures du moyen-âge, édit Hachette, Paris, 1973.
- FIORI Jean, PHILIPPE-AUGUSTE, la naissance de l'Etat monarchique, édit Taillandier, Paris, 2002.
- FOURQUIN Guy, Histoire économique de l'occident Médiéval, dans (Histoire médiévale, série dirigé par Georges DUBY), édit ARMAND COLIN, Paris, 1969.
- GANSHOF François.L, qu'est-ce que la féodalité ?, (5 édit), édit tallandier, Paris,1982.
- GORBY Ivan, les CAPETINS (888-1328), éditions Tallandier, Paris, 2000.
- GUENEE Bernard, politique, et histoire au Moyen-âge, publications de la Sorbonne, Paris, 1981.

- Halphen Louis., La place de la royauté dans le système féodal, A travers l'histoire du Moyen-âge, édit publication universitaire de France , Paris, 1950.
- LAVISSE Ernest., Histoire de FRANCE depuis les origines jusqu'à la révolution, Tome 2, édit hachette, Paris, (1901-1902).
- LOT Ferdinand, L'art militaire et les armées au moyen-âge, PARIS, 2 vol, édit hachette, PARIS, 1946.
- LOT Ferdinand La France, des origines à la guerre de cent ans, édit Gallimard, Paris, 1941.
- LUCHAIRE Achille., Philippe-Auguste et son temps (1137-1226), édit Hachette, Paris (1902).
- MOLLAT M., Genèse médiévale de la France moderne, édit ARTHAUD, Paris 1970.
- NEMO Philippe, Histoire des idées politiques dans l'Antiquité et au moyen-âge, publication universitaire de France, PARIS, 1998.
- PETIT-DUTAILLIS Charles et GUINARD P., l'essor des Etats d'occidents, édit publication universitaire de France, Paris, 1937.
- PERNOUD Régine, Lumière du Moyen-âge, édit GRASSET, Paris, 1981.
- RIGAUDIERE Alain. : des temps féodaux au temps de l'Etat, édit A. COLIN, Paris, 1994.
-JALLUT Marcel., PHILIPPE-AUGUSTE, fondateur de l'unité française (Au fil d'Ariane), Paris, 1963.
- VANDERKINDERE LEON, La formation territoriale des principautés Belges au moyen âge, vol (1), édit H. LAMERTIN, BRUXELLES,1992.
-Les Grandes chroniques de France, éd. J. Viard, 10 vol, Klincksieck, Paris, 1920-1953.

المقالات من المجلات المختصة :

- BARTHELEMY Dominique., La mutation féodale a-t-elle eu lieu ? Note critique, Annales ESC, mai-juin, 1992, p 767-777.
- DEMURGER Alain –LEWIS Andrew, le sang Royal la famille CAPETIENNE et l'Etat, X^{e} , XIV^{e} siècle, ANNALES, économies, sociétés, civilisations, volume 44, 1989, p 401-403.
- GUILLEMIN Bernard, la papauté et Philippe auguste, in revue d'histoire le l'Eglise de France, année 1980, volume 66, n°177, pp 289-335.

- GEORY P. J., Vivre en conflit dans une France sans Etat : typologie des mécanismes de règlement des conflits (1050-1200), Annales ESC, septembre – octobre, 1986, n°5, p 1107.
- GIORDANENGO G.,Coutume et droit féodal en France (XII[e] – milieu XIV[e] siècle), La coutume (Congrès de Bruxelles, octobre 1984), Bruxelles, 1990, p 219-225 (Recueils de la société J. Bodin, t. 52).
- LANGLOIS CHARLES VICTOR , La vie en France au moyen-âge, de la fin du XII, au milieu du XIII siècle. in revue d'histoire de l'Eglise de France.année 1926, Volume n° 12, n°55, pp 119-205,
- PYSIAK Jerzy. « PHILIPPE-AUGUSTE un Roi de la fin des temps ? » annales, 57[e] année 2002/5, p 1165-1190.
- The Royal Image, Illustrations of the « grandes chroniques de la France », 1274-1422, BERKELEY University of California Presss.
California Studies in the history of , ART , Vol 28, 1991, compt rendu dans médievalles volume N° 13 , N° 26, 1994, p 145-146.

الموسوعات و القواميس:

- Dictionnaire de la France médiévales Edition Fayard, Paris,1999.
- Dictionnaire du Moyen-âge, sous la direction de (Claude GAUVARD, ALAIN de LIBERA, MICHEL ZINI) , presses universitaires de France, 2002, PARIS.

قائمة المراجع باللغة العربية:

– اليوسف أحمد عبد القادر، العلاقات بين الشرق و الغرب بين القرنين الحادي عشر و الخامس عشر ميلادي، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، 1969.

– محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، السويس، مصر، 2000.

– عاشور سعيد عبد الفتاح، تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى، دار النهضة، بيروت، 1976.

– فيشر هنري.ا . ل، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، القسم الثاني، نقله إلى العربية محمد مصطفى زيـــــــــــادة و السيد الباز العريني، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1966.

- دوسن كريستوفر، تكوين أوروبا، نقله إلى العربية سعيد عبد الفتاح عاشور، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1967.

- ستيفن رسيمان، تاريخ الحروب الصليبية نقله إلى العربية الدكتور السيد الباز العريني، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، 1969.

- هـــ ال.فشر، تاريخ أوروبا، العصور الوسطى، نقله إلى العربية محمد مصطفى زيادة ، السيد الباز العريني ، ط 05 ، دار المعارف: مصر ، 1969.

- حاطور نور الدين، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا ، دار الفكر ،دمشق، 1982.

- دوسن كرستوفر ، تكوين أوروبا ، نقله إلى العربية محمد مصطفى زيادة و سعيد عبد الفتاح عاشور، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ، 1967.

- سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى (جزءان) - ط 6، القاهرة ، 1975.

- الشيخ محمد محمد مرسي، دولة الفرنجة و علاقتها بالأمويين في الأندلس، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية ، 1990.

- سعيد عبد الفتاح ، تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى، دار النهضة ، بيروت، 1976.

- هارتمان ل.م ، باراكلاف .ج ، الدولة و الإمبراطورية في العصور الوسطى، ترجمة و تعليق جوزيف نسيم يوسف، دار المعارف ، الإسكندرية ، 1966.

الفهرس

الفهـــــــرس

المقدمـــــة 02

الفصـــل الأول

الملك فيليب أغسطس و سياسته الداخلية..

البلاط الملكي و تنظيـــــــــــــمه..... 11

الإدارة الملكيـــــــــــــة و المحليـــــــــــة..... 15

الميـــــــــزانية و موارد الدولة و تسييرها..... 17

مجالس المدن و الإمتيازات الملكية..... 32

الحـــــــــوزة الملكـــــــــية و صراع الملك مع الإقطاعيين داخلها و خارجها..... 37

الملك فيليب أغسطس و رعيته..... 48

تطور الحرف و التبادلات التجارية..... 52

الفصـــل الثاني

حروب الملك "فيليب أغسطس"

جيوش" فيليب أغسطس" تنظيمها و تحصين القلاع..... 60

حروب وغزوات الملك "فيليب اغسطس"..... 73

معركة بوفين/ Bouvines 84

.....

مشاركة الملك "فيليب اغسطس" في الحملة الصليبية الثالثة [1189/1191 87
م].....

علاقة الملك "فيليب أغسطس" بالنورمان في 89
صقلية.....

الملك فيليب أغسطس ودوره في محاربة الهرطقة الألبيجنسية (جنوب 105
فرنسا).....

الفصـــل الثالث

الملك فيليب أغسطس و الكنيسة الرومانية

الملك فيليب أغسطس و الباباوات..... 112

الملك فيليب أغسطس و الكنيسة 113
الفرنسية.....

فيليب أغسطس و التنظيمـــات 116
اللإكليـــــــــركية.....

التربيـــــــة 128

والتعليـــــــــم.....

الطـــــــــابع الدينـــــــي 137

للجامعـــة.....

مسار تطور جامعة باريس..... 138

الخاتمـــــــة 144

.....

قائمة المصادر و المراجع..... 152

الفهرس..... 158